# الإسلام
## شريعة وطريقة وحقيقة

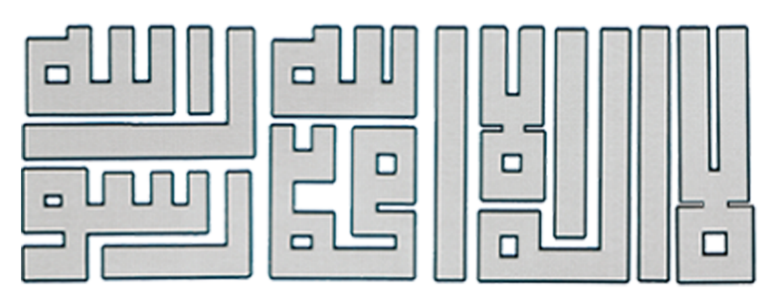
الجزء الثانى



# قواعد الإيمان

( تهذيب النفس )

عبدالله /صلاح الدين القوصى



الطبعة الثالثة

رمضان ١٤٢٥هـ/ نوفمبر ٢٠٠٤م



بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهر
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

٥٤٨٢

السيد / صلاح الدين القوصي ......

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : قواعد الإسلام (تهذيب النفس)
.................. تأليفكم ..................

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

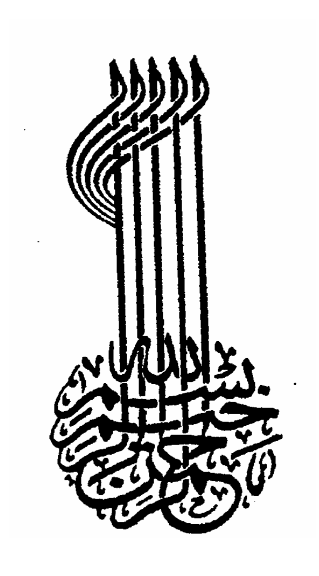
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

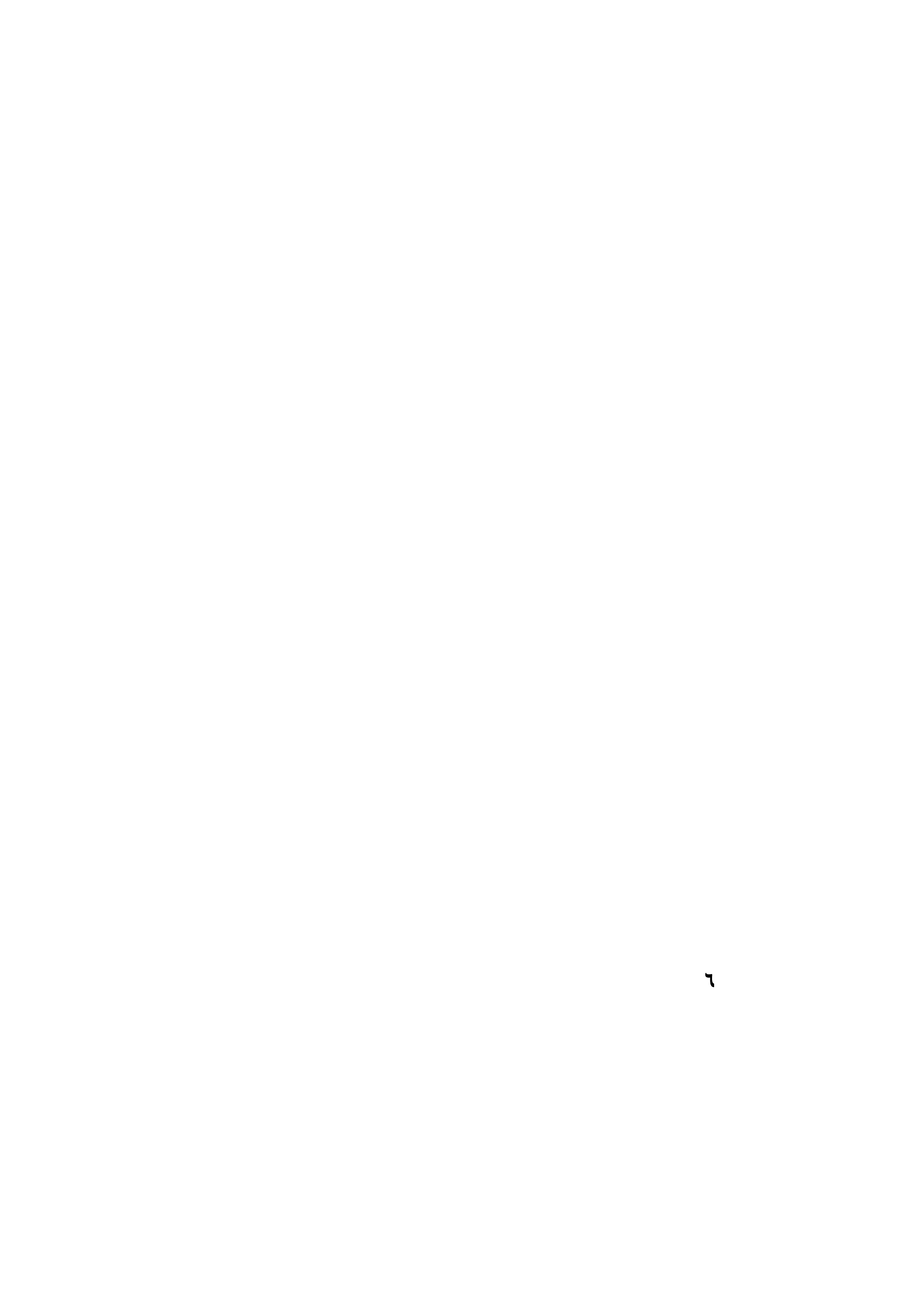
**مدير عام**
**ادارة البحوث والتأليف والترجمة**

تحرير في / / ١٤ هـ
الموافق ٢ / ١٠ / ٢٠٠٤ م

يعتمد
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية







اللَّهم

إنك تعلم أني ما كتبت كتابي

هذا إلا لضعف قوتي وقلة حيلتي في اللحاق

بركب عبادك الصالحين وعسى أن يكون لقارئه خيراً مما هو

لكاتبه . اللَّهم فزكِّه وطهِّره و اقبله منك إليك و اجعله خالصاً لوجهك

الكريم و انفع به كل من قصدك مخلصاً ، وصل وسلم وبارك

على سيدنا محمد عبدك وحبيبك ونبيك وعلى

آله وصحبه و التابعين وعلينا وعلى

عباد اللَّه الصالحين

أجمعين

**المؤلف**



قال رسول اللَّه ﷺ عندما سأله سيدنا جبريل عن الإيمان:

" الإيمان أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره "

متفق عليه

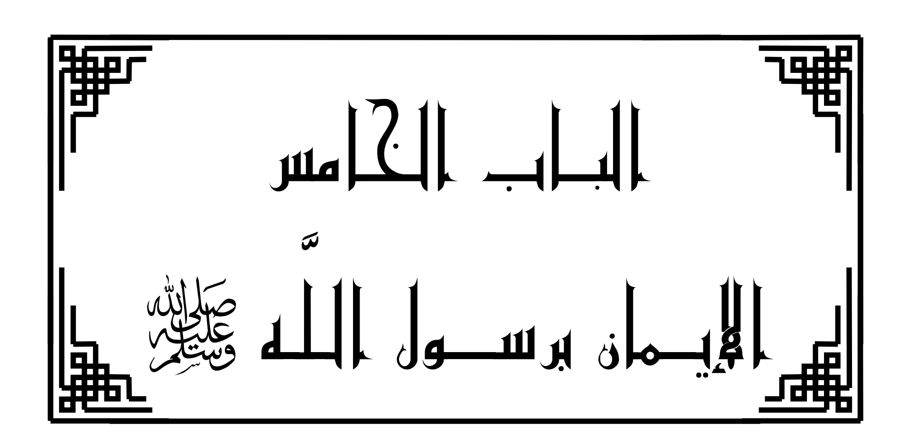
وقال عليه الصلاة والسلام :

"ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل"

رواه الديلمى

صدق رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم

# محتويات الكتاب


الباب الخامس
الإيمان برسول الله ﷺ

**ما أكثر من كتبوا عن رسول اللَّه ﷺ.. وما أقل من عَرَّفُوه لنا!! كتبوا عن صفاته.. وخلقه.. وأدبه.. وسيرته.. وغزواته.. وأفعاله.. وأقواله.. ولم يكتبوا عن قلبه وروحه ﷺ إلا أقل القليل!!! كتبوا عن رسول اللَّه ﷺ كقائد عسكرى.. ومصلح اجتماعى.. رئيس دولة.. وزوج مثالى ومعلم فَذّ.. وأخيراً تمخضوا فقالوا إنه عبقرى فَذّ وجلسوا يشرحون عبقريته !!! ونسوا أو لم يدركوا أنه قبل كل ذلك وبعده هو نبى.. بل سيد الأنبياء والمرسلين روحه معلقة بالسماء.. وقلبه مشغول بربه هو مهبط الوحى.. ومركز التجليات وكنز الأنوار والأسرار.. ومنبع الهدى والإيمان.. فأية عبقرية يتحدثون عنها وعقله ﷺ موصول بحبل إلى السماء نوماً ويقظة !!!**

**إن المتحدث عن سيرة رسول اللَّه ﷺ يجب ألا يغفل لحظة واحدة عن أنه إنما يتحدث عن نبى مرسل..، اصطفاه اللَّه تعالى وشرح صدره.. ورباه.. وأدبه وعلمه.. وأيده.. واتخذه حبيباً..**

**ومن الذى يستطيع أن يكتب عن نبوة رسول اللَّه ﷺ!!! وأنىّ للحدادين ونافخى الكير أن يتحدثوا عن الملوك ؟!**

**نسأل اللَّه تعالى أن يعصمنا من الزلل ونحن نتجاسر ونتحدث فى هذا الأمر ونسأله تعالى زيادة فى علمنا.. وفتحا فى قلوبنا.. وعفوا عن جهلنا حتى لا نفرط ولا نقصر...**

**لقد اصطفى اللَّه تعالى الأنبياء والرسل من البشر كافة.. وجعلهم مصابيح الهدى والنور.. حيث اختصهم جل شأنه برسالاته وبكلامه.. وعصم نفوسهم من كل شر قبل البعثة وبعدها.. فلا نصيب فيها لهوى أو شيطان.. وجعلهم خزائن علمه.. وينابيع رحمته.. فهم خير البرية على الإطلاق عليهم صلوات اللَّه وسلامه وتحياته وبركاته أجمعين..**

**ومن هؤلاء الأخيار المختارين..اصطفى اللَّه تعالى محمدا ﷺ وبشَّر به آدم وإبراهيم وموسى وعيسى.. وأدبَّه وعلَّمه.. وشرح له صدره..**

**ووضع عنه وزره.. ورفع له ذكره.. وقرن اسمه تعالى باسمه فى كل وقت صلاة وإقامة.. وفى كل تشهد لصلاة.. إلى يوم الدين.. وأمر المؤمنين بالصلاة عليه كما يُصلى هو وملائكته عليه فقال فى سورة الأحزاب :**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾.

**وقال له :**﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ **(الأنبياء).**

**وطمأنه وبَشَّرَهُ وقال له:**﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ **(الطور-٤٨)، ومدحه بقوله :** ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ **(القلم)،.. وجعله إماما لجميع الأنبياء والمرسلين.**

**اختار اللَّه له أنقى النُطَف.. وأطهر الأرحام.. وأنشأه يتيماً بلا والد يرعاه ولا والدة تحنو عليه. لتكون التربية كلها والتأديب كله من اللَّه تعالى.. وجعله أميا لا يقرأ ولا يكتب ليعلمه اللَّه تعالى بعلمه علوم الأولين والآخرين.. وشرح له صدره.. وأظلَّهُ من حر مكة بالغمام.. وأنزل عليه وحيه وكتابه.. وجاهد فى سبيل اللَّه حق الجهاد وعندما اشتد أذى المشركين له ولمن آمن معه قبض اللَّه السيدة خديجة رضى اللَّه عنها إليه وهى التى كانت تؤازره وتواسيه.. ومات عمه أبو طالب وهو الذى كان يناصره ويحميه حتى لا ينتصر رسول اللَّه ﷺ بعشيرته.. ولا يأتنس بغير اللَّه تعالى.. حتى عمُّه أبو لهب الشديد البأس كان من ألد خصومه.. فما نصره إلا اللَّه.. وما أيده إلا رب العزة والجلال.. يناجى ربه العزيز به الحبيب إليه وقد دميت قدماه من قذف المشركين الحجارة عليه وهو بالطائف داعيا إلى اللَّه.. ويقول فى نجواه" اللَّهم إني إليك أشكو ضعف قوتى.. وقلة حيلتى.. وهوانى على الناس.. يا أرحم الراحمين أنت**

رب المستضعفين وأنت ربِّى.. إلى من تكلنى!! إلى عَدُوٍّ يتجهمنى أم إلى قريب ملكته أمرى.. إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى.. ولكن عافيتك أوسع لى.. أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض وأشرقت له الظلمات. وصلُحَ عليه أمر الدنيا والآخرة.. أن ينزل بى غضبك.. أو يحِلّ علىّ سخَطُك لك العتبى حتى ترضى.. ولا حول ولا قوة إلا بك.."

فتهتز ملائكة الأرض والسموات وتضرع إلى اللّه تعالى أن ينصر عبده، وينزل ملك الجبال بجبروته وبطشه ويطلب الإذن من رسول اللّه ﷺ بأن يطبق جبال مكة على من فيها من المشركين.. فلا يزيد قول رسول اللّه ﷺ عن " اللّهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.." !! أىٌّ رحمة وضعها اللّه تعالى فى قلب هذا النبى العظيم !!!

ويسرى به اللّه تبارك وتعالى إلى بيت المقدس.. فيصطف الأنبياء لاستقباله فيصلى بهم إماما وهم خلفه.. آدم وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى وسليمان ويونس وجميع الأنبياء.. هو إمامهم كلهم.. ويجتبيه اللّه تعالى بالمعراج إليه فيرحب به أهل كل سماء ويحتفون بمقدمِهِ عليهم.. ثم يتأخر سيدنا جبريل عليه السلام أمين وحى اللّه.. ويقول تقدم يا محمد.. فما منا إلا له مقام معلوم. فيتأخر جبريل.. ويتقدم محمد!! فيغيب فى الأنوار الإلاهية ويناجى ربه : التحيات للّه.. والصلوات والطيبات للّه. فيرد عليه رب العزة والجلال رب الملك والملكوت : السلام عليك أيها النبى ورحمة اللّه وبركاته... فلا ينسى رسول اللّه ﷺ وهو فى هذه الحضرة العلوية أحبابه فيقول : السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين.. ويريه اللّه تعالى الكبرى من آياته. فيمجد ربه تعالى بخير كلام يقال ويقر بعبوديته للّه تعالى وهو فى هذا التشريف اللانهائى فيقول : أشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ونبيه ورسوله..

ويكون ما قد كان.. ثم يشرع اللّه تعالى لحبيبه الصلاة لتكون فيها قرة عين له وللمؤمنين معه.. فهى مناجاة كل يوم وليلة لرب العزة والجلال... ويعود فيقابله سيدنا موسى عليه السلام فيرى الأنوار والأسرار تشعّ من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو حديث عهد بالمناجاة العلية.. والحضرة السنية.. فيتملى منه مَلياً.. ويستوقفه متمليا من الأنوار القدسية ويطيل معه الحديث عسى أن ينال من نوره.. ويقول له ارجع إلى ربك يا محمد. ارجع لتزداد نورا وإشراقا وسل ربك التخفيف، ويعود الرسول ﷺ إلى ربه ليشرق على قلبه مزيد من الأنوار والأسرار ويرجع فيستقبله موسى وقد ازداد نوره فيستوقفه ويتملى منه ويقول له ارجع إلى ربك فسله التخفيف.. إرجع يا محمد لتعود إلينا بما لا نحظى به إلاَّ منك.. ومالا نراه إلا بك حتى يقول رسول اللّهﷺ..استحييت من ربى..

ويهاجر ﷺ من مكة.. من أحب البقاع إلى اللّه وإليه، إلى المدينة المنورة.. مستخفيا عن عيون المشركين وهو يعلم علم اليقين أن اللّه ناصره و مؤيده.. و ينزل فى الغار.. مطمئنا أبا بكر رضى اللّه عنه : لا تحزن إن اللّه معنا.. و يتفل على قدم أبى بكر وقد لدغه ثعبان فيشفى من فوره بترياق رسول اللّه ﷺ و يأتى الحمام.. ويأتى العنكبوت تريد أن تنال بركة القرب من رسول اللّه.. فيبيض الحمام فى الغار.. وينسج العنكبوت خيوطه على باب الغار.. ثم يلحقه سُراقة بن مالك وقد أغرته مكافأة قريش التى رصدتها لمن يأتى بمحمد.. فيشير رسول اللّه ﷺ إلى فرس سُراقة.. فتسيخ قوائم الفرس فى حجارة الجبل الصماء.. ويطلب سُراقة الأمان من رسول اللّه فيؤمِّنُه ثم يبشره الرسولﷺ.. ارجع يا سُراقة ولك سوار كسرى !! مستخف من المشركين وهو يعلم أن ملك كسرى سوف يؤول إلى العرب المسلمين !!!

ويحلّ بالمدينة المنورة بالهدى والنور.. حتى الحرائر أشرفت من

فوق الأسطح ترحب وتغنى طلع البدر علينا.. وتتملى من نور رسول اللّهﷺ ويتبارى القوم كل يمسك بخطام ناقته ليحلّ رسول اللّه ضيفا عليه فيقول لهم اتركوها فإنها مأمورة !!! ويبنى المسجد. وتشع المدينة المنورة بنور الإيمان.. ويجاهد المشركين والمنافقين.. وهو يعلم المنافقين.. ويدعو لهم.. ويرحمهم مع أذيتهم له ولأهل بيته وللمسلمين.. ويخيرّ اللّه نبيه بين أن يكون نبيا ملكا. أو أن يكون نبيا عبدا، فيختارﷺ أن يكون نبيا عبدا.. يأكل يوما ويجوع يوما.. فيطلع الهلال ومن ورائه الهلال.. ومن ورائه الهلال ولا توقد فى بيت رسول اللّه نار !!! سريره إدم (جلد) حشوه ليف.. ينام فيؤثر الحصير فى جنبه ﷺ وتتوالى المعجزات.. يتفجر الماء من بين أصابعه الشريفة.. فيسقى الجيش كله.. ويرد عين سيدنا قتادة وقد سالت على خده إلى موضعها فتكون أحسن عينيه حتى يوم موته.. ويتفل على ساق ابن الحكم المكسورة يوم بدر فتصِحُّ لحينها.. ويتفِلُ فى عين سيدنا على الرمداء فتشفى لوقتها.. ويطعم من مُدَّى شعير أكثر من ثمانين رجلا.. ويسقى من كوب لبن كل أهل الصفة وهم قرابة السبعين ويتفل فى البئر المالحة مياهها فتصير عذبة سلسبيلا.. ويقع المخيط من يد السيدة عائشة بالليل فتلقطه على نور وجه رسول اللّهﷺ وترى أم سليم العرق يتصبب من جبين رسول اللّه وهو نائم فتهم إلى قارورة تجمع فيها عرقه المبارك وريحه أطيب من ريح المسك.. ولا تمس طيبا ولا عودا ولا ندا ولا تتطيب إلا بهذا العرق الشريف وريحه لا يضاهيه أى مسك.. ويكلّم الضبّ.. والجمل.. والذئب.. وتشهد له الشجرة بالرسالة.. ويبكى الجذع الذى كان يستند إليه فى خطبه بمسجده الشريف عندما وقف على المنبر وترك الجذع.. و سمع له أنين و لم يهدأ إلا بعد أن ضمه الرسول ﷺ إلى صدره.. وتسابقت إليه النوق بأعناقها يوم النحر فى حجة الوداع لتتشرف بنحرها بيده الكريمة.. وخطب فى منى خطبة

سمعها كل المسلمين فى خيامهم فى منى.. وينصر بالرعب مسيرة شهر.. وتسخر له الريح وتؤمن له الجن..

وعندما يدخل مكة فاتحا هازما للشرك والمشركين.. يدخل على ناقته مطأطئا رأسه الشريفة حتى لتكاد تمس سنام ناقته.. ساجدا للَّه شاكرا متواضعا.. فيحطم الأصنام.. ويعفو عمن آذوه وحاربوه ويدخل على أم هانىء جائعا سائلا هل من طعام فتقول إنْ عندى إلا كِسَرٌ يابسات !! فيقول هَلْ مِنْ إدام فتقول ما عندى إلا الخل.. فيقول هَلُمِّى.. ويأكل الخبز الجاف بالخل ويقول نعم الأدُمُ الخل.. كِسَرٌ يابسات.. وخل.. للقائد المنتصر.. لحبيب اللَّه تعالى وصفيه وخير خلقه!!!

وعندما يحين الأجل وينتقل إلى الرفيق الأعلى.. يكشف أبو بكر عن وجهه الشريف ويقبله باكيا وريح المسك تنتشر منهﷺ ويقول: بأبى أنت وأمى يا رسول اللَّه.. طبت حيا وطبت ميتا.. ويبكى أبو بكر.. ويبكى عمر.. وتبكى فاطمة.. وتبكى أمهات المؤمنين.. وتبكى الصحابة.. ويبكى المؤمنون.. وتبكى المدينة كلها.. وتبكى الأرض.. وتبكى السماء.. ويبكى بلال ولا يستطيع الآذان..ويهاجر إلى الشام سنة كاملة.. وعندما عاد رأى رسول اللَّه ﷺ فى الرؤيا يقول له عام لم تزرنا فيه يا بلال!!! ويلح الصحابة على بلال أن يؤذن.. فيؤذن بلال رضى اللَّه عنه.. فلا يبقى فى المدينة كلها رجل ولا امرأة ولا صبى إلا بكى حنينا إلى رسول اللَّه ﷺ.

صلى اللَّه عليك وسلم وبارك يا سيدى يا رسول اللَّه..ﷺ وبارك عليك وعلى آلك وصحبك بكل ما أنت أهله يا حبيب اللَّه.. أشهد ألا إله إلا اللَّه وأنك عبده ونبيه ورسوله.. أشهد أنك قد أديت الأمانة.. وبلَّغْتَ الرسالة وجاهدت فى سبيل اللَّه حق جهاده.. وتركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.. لا يزيغ عنها إلا هالك.. فجزاك اللَّه عنا

**وعن الإسلام والمسلمين خير ما جازى نبيا عن قومه..**

**سماه ربى محمدا.. وأحْمَد.. وهو محمد الأخلاق.. وأحمد الشمائل واللّه تعالى هو المحمود فى الأرض والسماوات.. لم يخاطبه فى قرآنه باسمه مجردا وما خاطبه إلا بـ " يأيها النبى.. يأيها الرسول.. يأيها المزمل.. يأيها المدثر.." وما خاطب أنبياءه السابقين على اختلاف درجاتهم إلا بأسمائهم مجردة. وتأمل فى آيات الله التالية :**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ **(الأحزاب:٤٥و٤٦)**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ **(المائدة-٦٧)**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ **(التحريم-٩)**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾ **(الأنفال-٧٠)**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ ﴾**....(المزمل-١)**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ ﴾ **المدثر-١و٢)**

**وعندما عاتبه ربه تعالى قدم العفو على العتاب فقال:**

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾ **(التوبة-٤٣)**

**وقال سبحانه**﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ **(البقرة-٣٥)**

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ ﴾ **(هود-٤٨)**

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ ﴾ **(الصافات١٠٤و١٠٥)**

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾
**(الأعراف-١٤٤)**

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ **(ص-٢٦)**

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ **مريم-٧)**

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ **(مريم-١٢)**

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾....**(آل عمران-٥٥)**

**فهكذا كان خطاب اللَّه تعالى لأنبيائه.. وخطابه لخاتم أنبيائه.. حتى معجزات أنبيائه ورسله السابقين أكرم اللَّه بها رسوله بصورة أو بأخرى.**

**ورد في صحيح مسلم أن أم سليم (أم أنس بن مالك) وكان رسول اللَّه ﷺ يقيل عندها (أي ينام وقت القيلولة في منتصف النهار)، فنظرت فرأت العَرَقَ يتصبب من جبينه الشريف فجاءت بقارورة وجعلت تجمع عرقه المبارك، فانتبه ﷺ، وسألها عما تفعل، فقالت أجمع عرقك فأتطيب به يارسول الله فأقرَّها ﷺ، وكانت رائحة عرقه الشريف أطيب من ريح أطيب مسْك.**

**وكان من يصافحه ﷺ تعلق بكفه من ريح رسول اللَّهﷺمالا يضيع بغسيل ولا غيره لأيامٍ وليالٍ.**

**وروى البيهقي عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ يخصف نعله وكنت جالسة أغزل، فنظرت إليه، فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولَّدُ نورا قالت فبُهتُّ، فنظر إليّ فقال : مالك بُهتِّ، فقلت: يارسول اللَّه نظرتُ إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقُك يتولَّدُ نورا،**

**ولو رآك أبوكبير الهذليّ لعلم أنك أحقُّ بشعره. قال : وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذليّ ؟؟ فقلت يقول :**

**وإذا نظرت إلى أسِرَّة وجهه ∴ برقت كبرق العارض المتهلل.[1]**

**قالت : فوضع رسول اللَّه ما كان بيده، وقام إليّ وقبَّل ما بين عَيْنىَّ وقال: جزاك اللَّه خيرا يا عائشة، ما سُرِرْت منى كسرورى منك وقد ذكرها أبو حامد الغزالى فى الجزء الثالث من كتابه الإحياء.**

**وقد روى البيهقى حديث كلام الضبّ (وهو حيوان من فصيلة السحالى يعيش فى الصحارى) لرسول اللَّه ﷺ، وروى البخارى تفجُّر الماء من بين أصابعه الشريفة حين وضعها فى ركوة ماء صغيرة يوم الحديبية حتى سقى منها ألفا وخمسمائة من الصحابة، كما روى البيهقى والبخارى وأحمد واقعة انشقاق القمر له ﷺ وكان كل شطر منه على جبل فى مكة.**

**وقد جمعت كتب السيرة كثيرا من هذه المعجزات للنبى ﷺ وكثيرا من الكرامات لأصحابه عليهم رضوان اللَّه تعالى، وذكر ابن كثير فى موسوعته "البداية والنهاية" الجزء السادس حديث الذئب للرسولﷺ، وتكثير الطعام فى وقعة الخندق والحديث مع جبل أحد، وحديث الذراع المسمومة لهﷺ، وحديث الطفل المصروع الذى شفاه اللَّه ببركة رسوله ﷺ وخرج من فم الطفل مثل الجرو الأسود.**

**وأكبر وأعظم معجزاته ﷺ هو القرآن الكريم.. بأنواره وأسراره وحكمته.. فهو كلام اللَّه للذكر والصلاة.. وهو آيات اللَّه للتدبر والتأمل.. وهو كتاب اللَّه الشامل على أنواره وأسراره.. تستجلى من آياته معانٍ ومعان لا نهاية لها.. كل على قدر ما وهبه اللَّه فعندما نزلت:**

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٤

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ (المائدة-٣)

**استبشر الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب بنعمة اللّه تعالى ورضاه وكان اليوم عندهم عيدا لهذه البشرى أما أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه.. فقد بكى.. فلما عجب الصحابة من بكائه فى هذا الفرح المبشر به من اللّه تعالى وسأله رسول اللّه ﷺ ما يبكيك يا أبا بكر!!؟. قال رضى اللّه عنه إن هذه الآية تنعيك فينا يا رسول اللّه!!!**

**فانظر إلى إدراك أبى بكر وكيف فهم أن كمال الدين يستتبعه انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.. فقد تمت الرسالة.. وكلا المعنيين صحيح .. فبشرى الصحابة حق.. وبكاء أبى بكر حق.. والآية واحدة !! فكتاب اللّه أسراره لا تنتهى.. ومعانيه لا تفنى..**

**وإن كان اللّه تعالى قد علّم آدم الأسماء كلها فقد أنزل القرآن على محمد وقال له (النساء-١١٣) :** ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾

**وقال له :** ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ **(طه-١١٤)... وهل تُردُّ دعوة رسول اللّه ﷺ إلى ربه !!؟**

**واللّه تعالى قد أحيا الطير والموتى لسيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى عليهما السلام.. وقد كَلّمت الشاة المسمومة المطهية رسول اللّهﷺوقال عليه الصلاة والسلام" إن هذه الشاة لتنبئنى أنها مسمومة"..**

**وفجر اللّه تعالى لموسى الصخر فانفجرت اثنتا عشرة عينا لسقيا بنى إسرائيل. وتفجر الماء من بين أصابعه الشريفةﷺ فى يوم الحديبية حتى شرب القوم كلهم وقضوا أربهم وكانوا أكثر من ألف وبضع مئات.**

**وألان اللّه الحديد لسيدنا داود وسبح الحصى فى كف محمدﷺ..**

وعلّم سليمان لغة الطير والنمل..

وعلّم محمدا لغة الجماد والوحوش والحيوان.. فكلّم جبل أحد وكلَّم الناقة.. وكلَّم الضب.. وكلَّم الذئب..وكلَّم الشجرة..

وأخرج اللَّه الناقة لصالح وقومه... وانشق له القمر فى مكة فكان كل نصف منه على جبل.. وأخَّر اللَّه مغيب الشمس صبيحة ليلة الإسراء حتى وصلت القافلة التى رآهاﷺ فى الطريق إلى مكة فأخبر بأنها سوف تصل قبل المغيب..

وعندما كسر سيف عكاشة بن مُحصن فى غزوة بدر ناولهﷺ عرجون نخل (جريدة) فصارت سيفا باترا وسماه"العون" وظل يحارب به طول عمره.

وشرب أهل الصفة وهم أكثر من سبعين رجلا من إناء واحد من اللبن ثم شرب أبو هريرة وشرب رسول اللَّهﷺ.. والإناء كما هو..

وأكل المهاجرون يوم الخندق من مُدَّى شعير فى كفهﷺ وهم أكثر من ثلاثمائة..

ورجمت الشياطين التى كانت تسترق السمع فى السموات بالشهب عند بعثته فلم تعد تقعد منها مقاعد للسمع...

وأوتى من الجمال ﷺ فوق جمال يوسف.. وكلل بالمهابة والجلال فلم يفتن به أحد..

وكان ﷺ يرى من خلفه كما كان يرى من أمامه ويقول لأصحابه استقيموا فى الصلاة فإنى أراكم من خلفى..

وكان ﷺ يسمع عذاب أهل القبور وينبئ عن حالهم ويستغفر لهم ويطلب لهم الرحمة..

**والآثار كثيرة ومن أراد الاستزادة ففى المراجع الكثير والكثير لمن أراد المعرفة والاستزادة..**

**يقول ﷺ " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأوَّل شافعٍ وأوَّلُ مشفَّعٍ" رواه مسلم، ويقول " كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ولا فخر" رواه الترمذى وأحمد، وقال ﷺ " إن الجنة حُرِّمَت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم كلها حتى تدخلها أمتى" رواه الدار قطنى.**

**وفى الصحيحين عن عمر بن الخطاب أن رسول اللَّه ﷺ قال "لا تُطْرُونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد اللَّه فقولوا عبد اللَّه ورسوله"، فالإطراء الممنوع هو ما شابه إطراء النصارى حيث رفعوا المسيح إلى الألوهية فقالوا هو إله وهو ابن اللَّه، وهذا هو الذى يحذرنا منه رسول اللَّه ﷺ، وأما إذا قلنا عبد اللَّه ورسوله اختاره واصطفاه وكرّمه واختصّه بما لم يختصّ به أحدا من خلقه سواه ﷺ، فنحن لم نتعدَّ الحد الشرعي المسموح لنا، فلا تحسبن أننا قد تجاوزنا الحدود فى مدح رسول اللَّهﷺ بل إننا لم نذكر إلاَّ اقل القليل.. ولم يتعدّ كلامنا إلا ما قالهﷺ ألا وهو أنه سيد البشر .. وسيد الرسل.. وسيد الخلق أجمعين..**

**يروى الدارمى عن جابر قوله ﷺ " أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر" حديث حسن، ويروى الطبرانى عن ابن عباس قوله ﷺ:" كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد"[1] حديث صحيح، وروى الحاكم فى مسند له عن أبى هريرة**

---

(١) **جاء فى"كنز العمال الإصدار ١,٤٣ – للمتقي الهندي" :**
٣١٩١٧–"كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد". (أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب فضل النبي=
=صلى الله عليه وسلم رقم (٣٦٠٩)، وقال: حسن صحيح غريب
**وجاء فى مجمع الزوائد. الإصدار ٢,٠٥ – للحافظ الهيثمي**

**قوله ﷺ" إنما أنا رحمةٌ مهداة" حديث صحيح.**

**هو ﷺ من البشر.. ولكنه فوق البشر بما ميزه اللّه تعالى وأكرمه به من خصوصيات...**

**ولا تعجب ولا يضيق أفقك وإدراكك بعقلك المحدود كما يفعل جُهال العلماء.. الذين نقلوا العلم ميتا عن ميت وظنوا أنهم بما نقلوه قد صاروا أعلم العلماء فيقولون لا تسرفوا فى مدح رسول اللّه حتى لا يفتن الناس به.**

**فهل علموا هم قدره الحقيقى حتى يعرفوا حد الإسراف وحد التجاوز غير المحمود فى مدحه ﷺ.**

**ومتى افتتن الناس برسول اللّه ﷺ منذ ألف سنة ونصف ألف قبل أن يولد هؤلاء العلماء وأمثالهم !! ما سمعنا على اتساع الرقعة الإسلامية وانتشار الجهل بين المسلمين وتخلفهم العقلانى والإيمانى هذه الأيام وقبلها.. ما سمعنا بمن رفع رسول اللّه ﷺ عن مرتبة البشر.. ولا قال إنه إله ولا رب كما قال غير المسلمين فى أنبيائهم..**

---

١٣٨٤٨- وعن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كتبت نبياً؟ قال:"وآدم بين الروح والجسد".رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح.

**كما جاء فى مستدرك الحاكم ، الإصدار ٢,٠٢**

٤٢٠٩ / ٢١٩ - حدثنا أبو النضر الفقيه، وأحمد بن محمد بن سلمة العتري قالا:حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن سنان العوفي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفخر قال:قلت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: متى كنت نبيا؟قال: (وآدم بين الروح والجسد).هذا حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه.

أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه والبغوي وابن السكن وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم بلفظ كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد.وفي الترمذي وغيره عن أبي هريرة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت أو كتبت نبيا؟ قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد.وقال الترمذي حسن صحيح، وصححه الحاكم أيضا. وفي لفظ وآدم منجدل في طينته.وفي صحيحي ابن حبان والحاكم عن العرباض بن سارية مرفوعا إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته،وكذا أخرجه أحمد والدارمي وأبو نعيم، ورواه الطبراني عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال وآدم بين الروح والجسد، ثم قال السخاوي كغيره

الدين محفوظ من اللّه.. وكتابه محفوظ من عنده.. وشريعته محفوظة بجنوده.. فعلى قدر ما مدح المؤمنون رسولهم.. وتفننوا فى الصلاة عليه.. وكتبوا عنه وعن سيرته.. فلم يعبده أحد.. ولم يؤلهه مسلم..

وهؤلاء الداعون إلى الاقتصاد فى مدح رسول اللّه ﷺ إنما دعاهم إلى ذلك جهلهم برسولهم.. وضيق أفقهم فى الإحاطة بقدره ﷺ.. وخوفهم من وَهْمِ فى أنفسهم هم.. وزعمهم فى أنفسهم أنهم يحفظون على الناس إيمانهم.. واللّه تعالى يقول فى سورة البقرة: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

فاللّه هو الحافظ لإيمان المسلمين.. وما دمنا نقول إن محمدا بشر.. يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق.. فأى خوف يتوهمونه.

فرسول اللّه ﷺ من البشر.. بشرى الخلقة والصورة والجسد ما فى ذلك شك. أما إكرام اللّه تعالى له فلا شك أيضا أنه فوق المدارك والعقول.

ويؤكد اللّه تعالى هذا المعنى فى كتابه الكريم.. ويمهد لانتقال رسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى واللّه تعالى أعلم بشدة هذا الأمر على نفوس المؤمنين فيمهد لهم ليثبتهم فى هذا الموقف الجلل فيقول فى سورة آل عمران-١٤٤ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾، ويقول فى سورة الزمر :﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

وعندما يطالب كفار مكة رسول اللّه بالمعجزات والخوارق يذكرهم اللّه تعالى بأنه بشر مثلهم. يوحى إليه.. يقول فى سورة الإسراء: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ

لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾ ﴾

**ويقـول فى سورة فـصلت-٦:** ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ **فرسول اللَّه ﷺ بَشَرٌ أكرمهُ اللَّه تعالى بالنبوة والرسالة.**

**والحكمة من بشريته ﷺ وبشرية الأنبياء كافة والرسل هى أن يكونوا قدوة للبشر وأسوة حسنة لهم.. فلو كان الرسول مَلكاً من السماء لاعتذر الناس عن متابعته والتأسى به بأنه مَلَكَ وهم بشر.. لذلك يقول اللَّـه تعالى فى سورة الأنعام:** ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾**ويقول فى سورة الإسراء:** ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴿٩٥﴾ ﴾

**فسنة اللَّه تعالى فى الأنبياء والرسل هى أن يكونوا من البشر ويرسل إليهم وحيا من لدنه، فالبشرية فى رسول اللَّهﷺ ضرورية حتى يأتنس به الناس ويأتنس بهم ويكون لهم مثالا حياً أمامهم وقدوة يحتذى بها قولا وعملا وفعلا..**

**وأنت لك من بشرية رسول اللَّه ﷺ ظاهرها من أعمال.. وخلق.. وآداب ولك من البشرية ظاهر العبادات والطاعات.. فتعلم كيف تصلى**

وكيف تصوم وكيف تزكى إلى آخر مظاهر الإسلام الأخرى أدبا وخلقا..

هذا هو ما تتعلمه من القالب البشرى للرسول.. وهو خير وبركة لمن تعلم منه واتبعه ولكن هل هذا هو كل حظك من رسول اللَّه ﷺ!!!

إذا ما أهون ما أخذت.. من أعظم نعمة أنعم اللَّه بها عليك !!! ولو كان هذا هو المطلوب فقط لما أكد اللَّه وأكد رسوله على ضرورة حب رسول اللَّه ﷺ حتى يكون أحب إليك من نفسك التى بين جنبيك.. ولما أمرك اللَّه تعالى بالصلاة عليه دائما أبداً.. فأى صلة بين أن تنفذ الأوامر وتتبع التعليمات حتى ولو كانت مكتوبة فى كتاب ويعلَّمك إياها أى شخص أو أى كتاب أو كاتب وبين أن تحب هذا الشخص أو هذا الكاتب وتنزله منزلة أعلى من نفسك !!!

يروى البخاري عن أنس رضى اللَّه عنه قوله ﷺ" لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين"

و يروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر قوله" ما اختلط حبى بقلب عبد إلا حرم اللَّه جسده علي النار" حديث صحيح.

لابد أن هناك فى الأمر سراً آخر غير ظاهر وغير بشرية رسول اللَّه ﷺ.

## • جانب من نبوة ورسالة محمد صلى اللَّه عليه وسلم

سبق لنا القول عندما تحدثنا عن عوالم الغيب.. وقوى النفس.. وخلافة البشر فى الأرض أن قلنا باختصار أن أحسن تقويم هو الصورة الروحية المكرمة بعلم اللَّه تعالى للنفس البشرية.. وأن النفوس درجات فى المعارف والإدراك.. وأن اللَّه تعالى اختار صفوة خلقه وجعلهم أنبياءه ورسله.. وطهرهم وزكاهم وعلمهم.. وأوحى إليهم بخاصية خاصة فى أرواحهم تميزوا بها عن سائر البشر... فنفوسهم وأرواحهم ليست كنفوسنا

وأرواحنا.. بل اللَّه تعالى حفظها وطهرها وزكاها وعلَّمها وجعلها خزائن أنواره.. ومعادن أسراره.. فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين !!. ألا تكون نفسه هى النفس الأقدس. وروحه هى الروح الأعلى.. وقلبه هو القلب الأعظم وعقله هو العقل الأتم الأكمل !!!.

ولابد أن يكون ﷺ هو أعرف خلق اللَّه باللَّه وأشد خلق اللَّه خشية للَّه.. وأعظم خلق اللَّه حبا للَّه.. وأعلى خلق اللَّه إيمانا باللَّه.. إذ هو ﷺ متصف بأعلى ما أوتى الأنبياء من كمالات وأرقى ما خلع على الأولين والآخرين من صفات، إذ هو العبد الكامل المؤهل للتلقى الأكمل المناسب للرسالة الخاتمة.

ويقول ابن عابدين عميد الفقه الحنفى فى حاشيته أن نوم الأنبياء غير ناقض لوضوئهم عليهم صلوات اللَّه وسلامه.

فهذه هى الخصوصيات التى تميزت بها الرسل عن البشر.. وتميز بها محمد ﷺ عن الأنبياء.. فهو أعظمهم إيمانا.. وأكثرهم علما باللَّه.. وأعلاهم يقينا.. فإن كان اللَّه تعالى قد أحسن خلْقَهُ وخُلُقه.. وأدّبه فأحسن أدبه.. فإن اللَّه تعالى قد جعل قلبه وروحه كنز الأسرار الإلاهية.. ومركز التجليات النورانية.. ليلا ونهارا، يوحى إليه وهو نائم ويوحى إليه وهو يقظان.. لا فرق بين نوم ويقظة ولا بين حال وحال، دائم الترقى مع اللَّه.. ودائم الاستزادة من أنواره فاللَّه تعالى لا تنتهى أسراره ولا تنفذ خزائن علمه.. ورسول اللَّهﷺ يستمد من هذه الأنوار والأسرار.

وإذا كان إيمان أبى بكر يرجح ويزيد عن إيمان الأمة الإسلامية كما ذكر البيهقى عن ابن عمر عن رسول اللَّهﷺ فكيف بإيمان رسول اللَّهﷺ، وبماذا يوزن !!! فافهم...

وإذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام أمة قانتا للَّه..﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ

كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ فكيف يكون إمامه محمد ﷺ!!!

فعظمة رسول اللَّه ﷺ.. وفضله على سائر الأنبياء والبشر أجمعين ليس فى خلقه وتعاليمه وطاعته للَّه فقط بل الأعظم من ذلك والأهم هو عظمة روحه.. وأنوار قلبه... وقدسية نفسه...

فإن كان لك من تعاليم رسول اللَّهﷺ نصيب بإسلامك.. فتصلى كما كان يصلى.. وتصوم كما كان يصوم.. وتتمثل بمظاهر الإسلام كما علمها لك رسول اللَّه ﷺ.. فأين أنت من إيمانه.. ويقينه.. ونور قلبه.. وقدسية روحه، وإذا كان لك نصيب من ظاهر النبوة فى رسول اللَّه.. فأين نصيبك من باطن النبوة وأسرارها.

لعلك أدركت الآن أن كل ما أنت فيه من مظاهر الإسلام من طاعات وعبادات بدنية ظاهرة عليك هو من إسلام رسول اللَّهﷺ وتعليماته وأوامره.. وكذلك كل ما يسرى فيك من نور الإيمان.. وكل ما فيك من يقين باطنى.. إنما هو يسرى فيك من إيمان رسول اللَّه... ويقينه باللَّه.. وأنواره وأسراره.. فإسلامك مستمد من إسلامه.. وإيمانك مستمد من إيمانه.. وبهذا يكون لك حظ من بشرية رسول اللَّه.. ويكون لك حظ من نبوة رسول اللَّه.. وظاهرك فيه من إسلامه.. وباطنك فيه من إيمانه.. تأخذ من هذا على قدرك.. وتأخذ من هذا على قدرك..

وحذار أن تفهم من قولنا هذا أن رسول اللَّه ﷺ هو الذى يهدى الناس وهو الذى يجعلهم يؤمنون. فإن الهدى هدى اللَّه. واللَّه تعالى يقول فى سورة القصص-٥٦:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ . فالهدى من اللَّه والإيمان من اللَّه.. وهو الذى يهدى عباده ويحبب إليهم الإيمان ويزينه فى قلوبهم ويكره إليهم الكفر

والفسوق والعصيان وهو جلَّ شأنه الذى يلزمهم كلمة التقوى فنحن نؤكد لك قولنا مرة أخرى بأن الهادي هو اللّٰه تعالى لا شريك له ولكن ما يسرى فى قلبك من إيمان وحب للّٰه إنما هو من سر نبوة ونور إيمان محمدﷺ.. فافهم الفرق بين المعنيين فإنه دقيق إلا على من استبصر بنور اللّٰه تعالى.

يروى الطبرانى عن معاوية رضي اللّٰه عنه قوله ﷺ " إنما أنا مُبلِّغٌ واللّٰه يهدى وإنما أنا قاسم واللّٰه يعطى" حديث حسن. فالعاطى هو اللّٰه والهادي هو اللّٰه جل شأنه، ورسول اللّٰه ﷺ هو المبلغ والقاسم.

فلا ينبرى لنا جاهل مستعلم فيزعم أننا قد جعلنا للّٰه ندا والعياذ باللّٰه. ولكي نقرب الأمر إلى ذهنك.. فإن قلنا لك أن أباك قد أورثك مالا حتى أغناك فصرت غنيا بميراث ماله.. فهذا لا يتعارض مع أن اللّٰه تعالى هو الغنى المغنى وأن المال كله مال اللّٰه جعله لأبيك ثم جعله لك من بعده.. فاللّٰه هو الذى أغناك بلا شك والمال هو مال اللّٰه بلا شك.. وأنت قد صرت غنيا بما ورثك أبوك من ماله بلا شك.. يقول تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ (التوبة-٧٤). فالرسول إذن يغنى بفضل اللّٰه تعالي كما نصت الآية.

لذلك يقول ﷺ " العلماء ورثة الأنبياء.. وإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا"... فميراث الأنبياء هو العلم.. وأى علم. هو العلم باللّٰه وليس علم الدنيا والصناعات... فالعلم باللّٰه هو كنز الأنبياء.. وورثتهم من المؤمنين.. وهل العلم باللّٰه إلاَّ الإيمان باللّٰه وخشيته ومحبته وطاعته !!! فافهم مقصودنا رحمك اللّٰه..

ومن هنا تعلم حِكمة إرسال اللّٰه الرسل إلى أقوامهم فقط.. لمن سمع منهم ورآهم.. وذلك على قدر قوة أرواحهم وطاقتها.. أما خاتم الأنبياء والمرسلين.. فلكل البشر ولكل زمان.. ولكل مكان.. على قدر

عظمة روحه وقوة إيمانه فافهم..

**يقول تعالى فى سورة (التوبة-٦): ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾. فرسول اللَّه تعالى يؤمن للمؤمنين.. وهو أذن خير لهم.. ورحمة للذين آمنوا.. يقول اللَّه تعالى عنه (التوبة-١٢٨):﴿ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾**

**..فالرسول ﷺ بالمؤمنين رؤف رحيم.. حريص على ما ينفع المسلمين فى الدنيا والآخرة.. وهل هناك حرص ومنفعة أهم وأعظم أثراً من منفعة الإيمان والفوز بالجنة والنجاة من النار.. ويقول ﷺ لأصحابه "من مات وترك مالا فهو لورثته.. ومن ترك دينا فأنا كفيله.." وكان ﷺ إذا أحضرت جنازة يسأل أصحابها هل عليه دين.. فإن كان عليه دين سدد عنه دينه ﷺ..وكان يضحى فى يوم النحر عن أمته..**

**ويؤكد اللَّه تعالى هذه الكفالة والضمان للمسليمن فيقول جل شأنه: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ (الأحزاب-٦).. فرسول اللَّه ﷺأحنٌ وأرحم بالمؤمنين من أنفسهم وذلك من فرط حبهﷺ للمؤمنين.. ويؤكد اللَّه تعالى لك هذا المعنى بأنه حتى زوجات رسول اللَّه ﷺ قد انتقل إليهم جزء من هذا الحب الذى فى قلب رسول اللَّه للمؤمنين فصرن فى حبهن ورحمتهن بالمؤمنين كأمهاتهم.. بل هن أمهاتهم رحمة ورقة وعطفا..**

**ويتجاوز هذا السر حدوده المعنوية فيحرم اللَّه تعالى على المؤمنين نكاح زوجات رسول اللَّه من بعده.. لأن الأمومة قد تأصلت**

فيهن وفى قلوبهن.. وهل يتزوج الرجل أمه !!!.

ثم يقول اللَّه تعالى لرسوله:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ (محمد- ١٩)، فالرسول ﷺ يستغفر اللَّه للمؤمنين حبا فيهم ورحمة بهم.. حيا وميتاً.. فإنهﷺ يقول" إنَّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة.. فأكثروا من الصلاة عليَّ فإن صلاتكم معروضة عليَّ". فيتساءل الصحابة : كيف تعرض عليك وقد أرمت.. (أى أن الأرض تأكل جسد الميت) فقال ﷺ " إن اللَّه عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" رواه ابن ماجة وابو داود.. ويقولﷺ" ما من أحد يسلم على إلا ردَّ اللَّه عليَّ روحى حتى أرُدَّ عليه السلام.." رواه أحمد وأبو داود، وكم من عبد يصلى على سيدنا رسول اللَّهﷺ ليلا ونهارا.. سحرا ومساءً وصبحا وظهرا.. فى صلاة وفى غير صلاة..

يروى البخارى ومسلم عن أبي هريرة قوله ﷺ" أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالا فهو لورثته" حديث صحيح، ويروى ابن سعد عن بكر بن عبد اللَّه قولهﷺ"حياتى خير لكم تُحدِّثون ويحدثُ لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتى خيرا لكم تعرض على أعمالكم فان رأيت خيرا حمدت اللَّه وإن رأيت شرا استغفرت لكم" حديث حسن.

وقد رأى رسول اللَّه ﷺ بعض الأنبياء السابقين يصلون فى قبورهم فلا تعجب من هذا القول فليس كل حياة هى مثل الحياة الدنيا بأكلها وشربها ومائها وهوائها.. ويقول ﷺ " من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة -أو كأنما رآنى فى اليقظة - لا يتمثل الشيطان بى" متفق عليه.. وكم من مسلم يرى رسول اللَّه ﷺ فى نفس الليلة وفى نفس الوقت. تلك من أسرار الروح فلا تعجب.. فإن الرسول ليلة أسرى به رأى

الأنبياء فى قبورهم يصلون.. ثم أَمَّهُم فى الصلاة فى المسجد الأقصى.. ثم استقبلوه فىالسموات كل فى مقام.. وهم بالطبع لم يُصَلُّوا معه ثم يسبقوه إلى السموات ليتخذ كل منهم مقامه.. فالأرواح غير الأجساد.. فالأجساد لا تُرى إلاَّ فى مكان واحد يحدها الزمان والمكان.. أما الأرواح فليس لها زمان أو مكان.. ولا نستطيع الخوض فى هذا الأمر أكثر من هذا..

يروى أبو يعلى في مسنده عن أنس قوله ﷺ "الأنبياء أحياء في قبورهم يُصَلُّون" حديث حسن، ويروى الإمام أحمد في مسنده وكذلك مسلم عن أنس قول ﷺ "مررت ليلة أسرى بى على موسى قائما يصلى فى قبره" حديث صحيح.

فنحن على الإجمال لم نتعسف فى شرح آية أو فى الاستدلال بحديث.. ولكننا استنبطنا منها مفهومات منطقية كل منها يؤكد الآخر.. فإن حجرت سعة عقلك وحبست نفسك وروحك بمقاييس الحياة الدنيا الأرضية وقوانينها المادية فلن تفهم من الأمور شيئا ولكننا نتحدث عن الأرواح وعوالم الملكوت وأسرار النفس فلا تخاطبنى بميزان أرضِك ومادِيَّتِك وقوانين الجاذبية الأرضية والحواس الخمس...

فرسول اللَّه ﷺ روحه تسرى فى روحك بالإيمان... وظاهره يسرى فيك بالإسلام.. وتعرض عليه أعمالك.. ويرد عليك السلام والصلاة..، ويستغفر لك بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.. فهل أدركت درجة رسول اللَّه.. وقوة إيمانه.. وأنوار روحه.. وأسرار تجليات اللَّه عليه.

ومن هنا كان لحب رسول اللَّه فى قلبك.. وكثرة صلاتك عليه سر كبير ينفعك بإذن اللَّه رغم أنف من اعترض جهلا وقصورا منه فى إدراكه..

## • حب رسول الله والصلاة عليه :

سبق القول بأن الحب هو التقاء أرواح بكيفية ما وبدرجات متفاوتة.. وهذا الالتقاء بين الأرواح يُحدث تفاعلا فيما بينها.. فصفات الروح من صدق وإخلاص وطاعة أو أضدادها من الصفات السيئة تؤثر فى النفس التى تعاشرها أو تلتقى بها ولو بدون تعامل فيما بينهما.. فمجرد التقاء الأنفس يحدث هذا التفاعل، ولذلك يؤكد ﷺ على ضرورة اختيار الجليس الصالح.. والخليل الصالح والمجتمع الصالح ويحذر من خلافهم فهم مثل بائع المسك ونافخ الكير فإنك تجد عندهما ريحاً طيبة أو ريحا خبيثة بمجرد مرورك عليهما.. دون معاملة معهم من بيع أو شراء.. فقوة الأنفس هى التى تؤثر فى بعضها.. ومن هنا كانت حكمة التقاء المسلمين فى الصلوات الخمس.. والجمعة والعيدين والحج فإن تلاقى أرواحهم وتقارب أجسادهم يحدث تفاعلا فى الأنفس دون أن يشعروا..

وقد أجريت دراسات اجتماعية على سلوك المجتمعات المغلقة مثل الذين يعيشون فى السجون أو بيوت الطلبة أو الملاجئ.. فظهر أن سلوك أفراد هذه المجتمعات تتوحد تقريبا على سلوك واحد. وهو إما أحسن الموجودين خلقا.. وإما أسوءهم خلقا.. وذلك تبعا لقوة الشخصية كما يسمونها عندهم.. أما نحن فنقول أن الروح القوية قد جذبت إليها الأرواح الأضعف.. إما بالشر.. وإما بالخير..وأثرت فيهم وطبعت صفاتها فيهم.. وهذا يحدث بمجرد تقارب الأجساد.. فما بالك بتقارب الأرواح.. وهى المؤثرة فى الأجساد كما ذكرنا سابقا.

ولذلك يقول ﷺ فيما يرويه مسلم والبخاري عن أبى هريرة وعن عائشة رضى اللَّه عنهما" الأرواحُ جُنُودٌ مجنَّدةٌ.. فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.." فالحب فى الحقيقة هو الميل المجرد عن السبب المادى.. فلا تجد له سببا ولا علة.. لأن أساسه التقاء الأرواح..

والأرواح خارجة عن إرادتك ومفهومك فأنت تحس بأثرها ولا تعرف له سببا.. فالحب كما قلنا هو الميل المجرد عن السبب المادى..

وانظر إلى دعوة رسول اللَّه ﷺ إلى الحب فى اللَّه والأخوة فى اللَّه وكيف أن المتحابين فى اللَّه على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم الأنبياء على هذه الدرجة الرفيعة.. وكيف أن الرجلين إذا تحابا فى اللَّه واجتمعا عليه وافترقا عليه يُظِلُّهُم اللَّه تحت ظِلِّهِ يوم لا ظل إلا ظِلُّهُ.. ودعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب.. ويقف وراءه ملك يقول له ولك مثل ذلك.. أى ولك مثل ما دعوت لأخيك..

فإذا كان هذا جزاء من يحب أخاه المسلم فى اللَّه.. وللَّه.. فكيف بمن يحب رسول اللَّه ﷺ.. وكيف بمن تتعلق روحه بروح رسول اللَّه ﷺ..

قل لى أنت ماذا يستفيد من أحب رسول اللَّه من حب الرسول له.. ومن روح رسول اللَّه المتعلقة روحه بها حبا ومودة..

وإذا كانت الأرواح جنوداً مجندة.. وتعارفت روحك على مهبط الأسرار وكنز الأنوار .. روح محمد ﷺ.. فما الفائدة من ذلك.. هل يحتاج الأمر إلى إيضاح !!.

وإذا كان حبك لأخيك المؤمن العادى ينفعك فىالدنيا والآخرة.. فتستجاب دعوته لك فى الدنيا.. وتكون معه تحت ظل اللَّه فى الآخرة.. وعلى منابر من نور. فكيف بمن يحب رسول اللَّه ﷺ. وماذا يستفيد منه فى الدنيا والآخرة.

لذلك يؤكد ﷺ على هذا الحب ويقول "والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" متفق عليه، ويقول "أحبوا اللَّه لما يغذوكم به من نعم.. وأحبونى لحبكم اللَّه" فالرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه يؤكد على المؤمنين ضرورة

حبهم له.. وإنما كان ذلك لفرط حرص رسول اللّه ﷺومحبته لك ورحمته بك لكى تنهل روحك من روحه العلية.. ويستفيد قلبك من نور إيمانه ﷺ.. وما هو بالمستفيد من حبك له.. بل أنت المستفيد بإذن اللّه من روحه القوية.. وقلبه مهبط الوحى.. فينقل إليك ألوانا من الإيمان.. وأنواعا من اليقين.. والأنوار.. من قلب رسول اللّه إلى قلبك.. ومن روح رسول اللّه إلى روحك لا قراءة من كتاب.. ولا تعليما من معلم.. بل تعليم من اللّه تعالى ورسوله.

وإذا كان رسول اللّه ﷺ يُشَبِّهُ المؤمنين كلهم فى توادِّهِم وتراحُمِهِم وتعاطفهم بأنهم كالجسد الواحد.. إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.. فأين تظن قلب هذا الجسد الواحد.. إذا كان المؤمنون كلهم كالجسد الواحد.. فمن يكون قلبهم.. مانحهم حياة الإيمان.. ونور اليقين.. سوى إمام المؤمنين وسيد الأنبياء.. ومعدن أسرار اللّه تعالى. فافهم رحمك اللّه..

فأنت إذا لم تعرف كيف تحب رسول اللّه ﷺ فأنت لم تستفد من روحانيته ولا من نور نبوته.. ولا تكون استفادتك من نوره إلاَّ على قدر حبك له.. وكذلك يكون حبك له هو على قدر إيمانك به.. وتكون أفعالك واتباعك لنهجه وسنته هى على قدر إيمانك به وحبك له.. فهى دائرة دائمة الترقى.. بالحب تزيد الطاعة.. وبالطاعة يزيد الحب..وهكذا..

ولقد كان سيدنا عبد اللّه بن عمر يسير فى طرقات المدينة ويقول"دلونى على أثر مَسير رسول اللّهﷺ فعسى أن توافق قدمى أثر قدمهﷺ" فانظر رحمك اللّه إلى فرط هذا الحب الذى نقل أصحابه من اتِّباع رسول اللّه ﷺ... فى العبادات.. إلى اتِّباعه فى العادات والأمور الدنيوية.. فإن سيدنا عبد اللّه بن عمر لم يقل إن ثواب من وافقت قدمه

أثر مسير رسول اللّه كذا وكذا.. ولم يسأل الناس عن أثر مسير رسول اللّهﷺ ليؤجر على ما يفعله.. فليس الأمر أمْرَ ثواب وعقاب ولكن المحبون لهم فنون.. ولهم أسرار لا تهتك دونهم.. فهو فرط الحب وكفى..

فحب رسول اللّه ﷺ فى حد ذاته نعمة كبرى من اللّه عليك فالفضل كله للّه تعالى.. وهو مفتاح كل خير..وباب كل توبة..وأساس كل طاعة.

وإن قال الناس إن الحب هو الاتباع لرسول اللّه ﷺ.. قلنا لهم صدقتم ولكن بشرط أن تكون المتابعة ظاهرة باطنة بمعنى اتباع أفعاله وأحواله الباطنية ﷺ.. وما أصعبها إلاّ من يسرها اللّه له فاللّه تعالى يقول:
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾
(آل عمران-٣١) .. فمن أحب أتبع نهج من يحب.. صدق اللّه تعالى.. ولكن كم من حب فى القلب لا يعلل ولا تعرف له سببا.. وتضعف عنه قوة جسدك وطاقة روحك.

روى البخارى أن سيدنا النعيمان بن عمرو عليه رضوان اللّه فى بداية إسلامه.. وكان يحب اللّه ورسوله حباّ كثيرا.. ولكنه كان لا يخلو من أمور تستدعى إقامة الحد عليه.. فلما تكرر منه ذلك لعنه بعض الصحابة فى مجلس رسول اللّه ﷺ وكرهوا منه مقارفته لما يستلزم إقامة الحد عليه.. وقالوا لعنه اللّه ما أكثر ما يؤتى به، فغضب عليه الصلاة والسلام وقال لهم" لا تلعنوه.. فإنه يحب اللّه ورسوله". أو قال" لا تلعنوه فو اللّه ما علمته الا أنه يحب اللّه ورسوله".

فحب اللّه ورسوله كان شفاعة له عند رسول اللّه فى أن لا يسبه أحد.. ولكن لم تكن هذه شفاعة فى حد من حدود اللّه.. فحدود اللّه ليس فيها شفاعة.. فهذا رجل يحب اللّه ورسوله.. ولكن ما زال فى نفسه

بعض الكدورات..

وقد سأل أعرابى رسول اللَّه ﷺ.. متى الساعة.. فقال له رسول اللَّه ﷺ.. وماذا أعددت لها.. فقال الأعرابى.. ما أعددت لها كثير صلاة ولا كثير صيام ولكنى أعددت لها حب اللَّه ورسوله.. فيرد عليهﷺ ويبشره بالبشرى العظمى :"المرء مع من أحب" وفى رواية أخرى أن أعرابيا كان يسير خلف ركب رسول اللَّه وينادى يا محمد يا محمد ولم يسمعه أحد حتى لحق بهم فقال لرسول اللَّه"المرء يحب القوم ولمَّا يلحق بهم.. (أى إن المرء يحب القوم ولكن قوته وإمكاناته لا تمكنه من اللحاق بهم) فقال له رسول اللَّه ﷺ.." المرء مع من أحب" وفى الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود :" جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال يا رسول اللَّه كيف تقول فى رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟؟ فقال عليه الصلاة والسلام"المرء مع من أحب" يقول الصحابة : ما فرحنا ببشرى من رسول اللَّه ﷺ كما فرحنا بتلك البشرى،

فكلهم يحب رسول اللَّه.. وكُلُّهم لا يستطيعون اللحاق به فى عبادته وطاعته فما العمل إذا حرموا منه يوم القيامة بقلة أعمالهم !!! فيطمئنهم رسول اللَّه ﷺ وهو الصادق المصدوق.. بأن المرء مع من أحب يوم القيامة.. ولو قلَّت قوته وضعفت همته.. فضلا من اللَّه وكرما.. فما نقص من قوة الجسد فى الطاعة جبرتها قوة الروح فى المحبة.. يقولﷺ " نية المرء خير من عمله" كما رواه الطبرانى أى أن المرء قد يتمنى أن يؤدى نسكاً أو طاعة وينوى حسن أدائها والإخلاص فيها فإذا فعلها ربما اعتورها شيئ من الغفلة أو من كدورات النفس البشرية فتأتى ناقصة عن كمال نيته.. كمن ينوى الصلاة ويرجو ألا يسهو فيها.. وألا تحدثه نفسه فيها بشئ فإذا بدأها غلبه الشيطان فكانت على غير ما عزم عليها من الكمال والتمام.

فالـذين يقيــسون حــب اللّــه ورســوله باتبــاع الأوامــر والطاعــات واجتناب المحرمات قد صدقوا.. ولكـنهم حَجَّروا فضل اللّه تعالى علـى عباده.. وضيقوا رحمته التى وسعت كل شئ.

فالمؤمن قد يمتلئ قلبه بحب اللّه ورسوله.. ويتمنى فى كل لحظة أن يكـون متابعا للأوامر والنـواهى كاملة خالـصة.. ولكنـه لأمر ما تعتـور عبادته كدورات ونقصان..

ولكنه ما زال يحب اللّه ورسوله وقلبه مشغول بهما ومتجه إليهما..

إن حب اللّه ورسوله إذا تمكن من قلب العبد المؤمن.. سرى فـى دمه وعروقه وتـأثر به بلا شك.. فإن كان الشيطان يجرى فـى ابـن آدم مجرى الدم فى العروق كما يقول ﷺ ... فإن الإيمان باللّه ورسوله فـى هذه الحالة يسرى هو أيضا بالإيمان والنور فى عروق ابـن آدم.. والغلبة لما يريد اللّه تعالى.. فإن كان ظلام إبليس يسرى بالجهل فى العروق.. فنور الإيمان يسرى بالعلم فى العروق أيضاً..

وإنى أدعوك إلى حسن الإدراك لرحمة اللّه تعالى حيث يجازى الذين آمنوا بأحسن ما كانوا يعملون.. ولـيس بما كـانوا يعملـون.. فذلك فضل اللّه تعالى علـى العبـاد.. والنيـة هـى أيـضا مـن عمـل العبـد.. فالنيـة ثمرة الإيمان.. وتنبه إلى الفرق بين النية والتمنـى.. فالتمنى لا يستند إلى نية ولا عزم.. لذلك يقـول ﷺ"أن قوما غرتهم الأمانى وقالوا نحن نحسن الظن باللّه.. وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم.. وكذبوا.. فلـو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.." وصدق رسـول اللّه ﷺ.. فهؤلاء قـوم تمنوا الأمانى ولم يجاهدوا أنفسهم ولم يعزمـوا علـى طاعـة.. ولم يتهيأوا لها.. ولكنهم تكاسلوا واكتفوا بحديث النفس.. أما ما نتكلم عنه فهـو حب فـى القلـب ونيـة علـى اللحـاق بالحبيـب المحبـوب.. ولكنـه بعمـل غـير متكامـل لوجـود كـدورات الـنفس البـشرية فـيهم.. فهـم فـى جهـاد بـين

حبهم.. ونيتهم فى العمل الصالح.. وضعف قوتهم وهمتهم.. فالأمر جد مختلف فافهم فإن الأمر دقيق.، ولاحظ أن الآية السابقة قد جعلت الاتباع نتيجة للحب، فإن كنتم تحبون اللّه فاتبعونى يحببكم اللّه، ولكن نحن نتساءل كيف نَتَمَنَّى فى قلوبنا حب رسول اللّه ﷺحتى يصدق اتباعنا له..؟؟

ولذلك.. ولكى يزيد حبك لرسول اللّه ﷺ شرع اللّه لك الصلاة عليه.. والسلام عليه.. لتكون هناك محادثة بينك وبين روحه.. فأنت تسلم عليه.. وهو يرد عليك السلام.. والملائكة تصلى عليه وعليك..

فمردود الصلاة على رسول اللّه ﷺ هو الائتناس بروحه ﷺ.. واستجلاب أنواره وقدس نفسه إليك.. فلا تزال تصلى عليه.. وهو يرد عليك والملائكة تصلى عليك حتى تتهيأ روحك ونفسك لأن تنهل من روحه وقدسه.. لذلك وجب أن تكون الصلاة على رسول اللّهﷺ بالسكينة والوقار واستحضار روحه ﷺ فى مجلسك كأنك تخاطبه.. وأنت فعلا تخاطبه وليس مجازا...

ولذلك تفنَّنْ الصالحون فى صيغ الصلاة على رسول اللّهﷺ.. كل منهم على قدر ما ينهل من روحه وما يشرب من أنواره..

يقول ﷺ " أنّ من صلى عليه مرة صلى اللّه عليه عشرا" كما رواه مسلم ويقول ﷺ " إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة" كما رواه الترمذى وابن حبَّان ويقول" أكثروا من الصلاة علىَّ يوم الجمعة".. كما رواه البيهقى وابن ماجه وقال" من صلى علّى صلّت عليه الملائكة ما صلّى فليقلل عند ذلك أو ليكثر" كما رواه أحمد وقال "إن فى الأرض ملائكة سيَّاحين يبلغونى عن أمتى السلام" كما رواه النسائى ويقولﷺ " من صلّى علّى فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون

له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب" كما رواه الطبرانى.

وقد قالوا إن الصلاة على رسول اللّه ﷺ مقبولة عند اللّه لا محالة إكراما لرسول اللّه ﷺ وقد تعرض ابن عابدين لهذه النقطة وغيره، وقالوا إن من أدب الدعاء أن يبدأ الداعى بحمد اللّه والثناء عليه ثم يثنى بالصلاة على رسول اللّه.. ثم يدعو بما شاء.. ثم يختم بالصلاة على رسول اللّه.. فإن اللّه تعالى يقبل الصلاة على رسوله.. وهو جل شأنه أكرم من أن يرد ما بين مقبولتين.

وعلى العموم فأسرار الصلاة على رسول اللّه كثيرة.. ولا تدرك بالكلام والبيان ولكن مما لا شك فيه أن كثرة صلاتك على رسول اللّه ﷺ تزيد من حبك له.. ومن حبه لك.. وهذا الحب تستتبعه قوة إيمانك.. ونور رسوله ﷺ...

ويكفيك الامتثال لأمره تعالى فى قوله فى سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾

اللّهم فصل وسلم وبارك على عبدك وحبيبك محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأتم سلام وأكمل بركات كلما ذكرك وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون فى كل لمحة ونفس من الأزل إلى الأبد بعدد كل مخلوق لك يا مولانا يا عظيم..

ويعلمنا رسول اللّه ﷺ كيفية الصلاة عليه ويوصينا بأهله وأهل بيته فيقول" قولوا اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد"

ويوصينا رسول اللّه ﷺ بآل بيته فيقول" أذكركم اللّه فى أهل بيتى.. أذكركم اللّه فى أهل بيتى" وأهل بيته هم آل علىّ.. وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.. وكل هؤلاء محرم عليهم أخذ الزكاة فإنها لا تحل لهم..

وتأمل قول اللّه تعالى(الأحزاب-٣٣):...﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾، ويقول:﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ (الشورى-٢٣)

فآل بيت رسول اللّه ﷺ لهم الإكرام والتبجيل والمحبة من المؤمنين الصادقين وحبهم من حب رسول اللّه ﷺ... يقول ﷺ " عن السيدة فاطمة رضى اللّه عنها إنها سيدة نساء أهل الجنة"، روى الحاكم قوله ﷺ "إذا كان يوم القيامة. نادى مناد من وراء الحُجُب : يا أهل الجمع غُضُّوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر" ويقول عن السبطين الحسن والحسين" اللّهم أحببهما فإنى أحبُهُما" ويقول لسيدنا جعفر بن أبى طالب" أشبهت خلقى وخلقى"

وكذلك سبق الكلام عن وجوب محبة صحابة رسول اللّه ﷺ ونكتفى بحديثه ﷺ " اللّه اللّه فى أصحابى : لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم.. ومن أبغضهم فبغضى أبغضهم.. ومن آذاهم فقد آذانى.. ومن آذانى فقد آذى اللّه.. ومن آذى اللّه يوشك أن يأخذه".

وخلاصة القول أن حب رسول اللّه ﷺ يستدعى حب آل بيته الكرام المباركين وأصحابه الغر الميامين رضى اللّه عنهم أجمعين.

وباللّه عليك كيف أنت بقوم يصلى عليهم جميع المسلمين فى كل صلواتهم فى كل زمان ومكان فأىُّ شرف لهم !!!

## • حول نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وصلنا إلى أن روح سيدنا رسول اللَّه ﷺ هي الروح العظمى.. ونفس سيد البشر هي النفس الأسمى.. وهي محل تجليات اللَّه تعالى في كل وقت وحين.. وقوله ﷺ " إن لي ساعة لا يسعني فيها إلاَّ ربي" يدل - لمن كان له قلب- على أنها ساعة تجليات إلاهية مباشرة يعجز الملائكة عن إدراكها.. فهي خاصة لمحمد ﷺ.. تماما كما تخلف جبريل في المعراج وقال لرسول اللَّه تقدم فما منا إلا له مقام معلوم.. ولو تقدمت أنا لاحترقت.. فهذا مقام جبريل.. وهذا مقام محمد.

ولأضرب لك مثلا على سبحات أرواح الانبياء في منامهم وكيف يكون الوحي إليهم في تلك الحالة على الصورة التي تسبح فيها أرواحهم..

قلنا من قبل إن رؤيا الأنبياء حق.. وهي وحي يوحى..

ولقد رأى سيدنا إبراهيم أنه يذبح ابنه إسماعيل.. ولكن ما حدث في نهاية الأمر أن اللَّه تعالى أمره بذبح كبش فداء له.. فالمذبوح هو الكبش في الحقيقة فكيف رأى سيدنا إبراهيم أن المذبوح هو ابنه !!! نعم هو بلاء.. وامتحان من اللَّه.. ولكن هذا لا يمنعنا من التساؤل بأن ما رآه سيدنا إبراهيم ليس هو ما حدث فعلا..

ونفس الأمر بالنسبة لسيدنا يوسف فقد رأى الشمس والقمر والنجوم تسجد له.. ولكن السجود كان في نهاية الأمر من أبويه وإخوته فلماذا جاءت الرؤيا بهذا الرمز!!!

يقولون واللَّه أعلم إن الروح إذا سبحت في عالم من العوالم الكونية وجاء أمر اللَّه تعالى إلى الروح بوحيٍ ما في تلك اللحظة فإنه يأتي بتأويل له من نفس ظواهر هذا العالم الذي تسبح فيه الروح..

فسيدنا إبراهيم سبحت روحه فى عالم الرحمة والرحيم والرحمن متأملا فضل اللَّه عليه وإكرامه له على الكبر بسيدنا إسماعيل عليه السلام.. فلمَّا جاء أمر اللَّه إليه فى تلك اللحظة بالفداء.. جاءت الرؤيا من نفس العالم وكان الفداء، بالابن وكان الأمر بذبح الابن..

ولما سبحت روح سيدنا يوسف فى عالم الأفلاك وأراد اللَّه أن يبشره بسجود إخوته ووالديه له.. جاءت الرؤيا بسجود بعض هذه العوالم التى تراها روحه.. فرأى سجود الكواكب له،.

فاحتياج الرؤيتين إلى التأويل سببه سبحات الروح فى عوالم اللَّه المختلفة.

وقيام رسول اللَّه ﷺ الليل كله كما ورد يردد الآية الكريمة من سورة المائدة : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ يلقى بعض الضوء على هذا الأمر.. فسبحات روح رسولَ اللَّه ﷺوتجليات اللَّه تعالى عليه المتجددة على الدوام كانت تجعل لكل تلاوة لهذه الآية معنى جديدا.. وكلما كررها رسول اللَّه كلما استجلى الجديد من أسرار أنوار اللَّه تعالى،، وإلا فلا معنى للتكرار إذا كان بنفس المعنى..

وأنت تجد لآيات اللَّه تعالى فى القرآن الكريم عدة معانٍ يذكرها المفسرون بل حتى ترتيب الآيات فى القرآن.. وهو ترتيب توقيفى من رسول اللَّه ﷺ هذا الترتيب قد يضفى على بعض الآيات معانٍ جديدة بإضافتها إلى بعضها...

وقد أجمع الفقهاء على أن المطلوب هو قراءة القرآن بتَدَبُّر وتَفَكُّر، وهذا لا ينافى قول الرسول "من فسَّر القرآن برأيه ضل"، ذلك لأن التدَبُّرَ له أصول وقواعد لابد منها للتالى، ويقول اللَّه تعالى: ﴿ .... إِنَّمَا

يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ (الرعد-١٩)

والذى آثر الدنيا على الآخرة وانشغل بها وغفل عن آخرته ليس من ذوى الألباب قطعا، فأنَّى له التدبر والتذكر!!!،

ويذكر البخارى عن عليّ كرم اللَّه وجه عندما سُئل هل خَصّهُ رسول اللَّه ﷺ بشيئٍ فقال :"ما أسرّ إليَّ رسول اللَّه ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى اللَّه عبدا فهماً فى كتابه"، فلا حرج على فضل اللَّه أن يهب لعبدٍ فهما فى كتاب اللَّه غير ما ذكره المفسرون فى كتاباتهم فافهم.

فقد يسبق إلى قلبك معنى جديد لم يسبق لك معرفته من قبل.. فإذا كان مطابقا لشرع اللَّه وأحكامه فهو خاطر حق.. وإن كان غير مطابق فلا يعتد به ولا يلتفت إليه.. يقول تعالىفى سورة محمد:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾.. فالتدبر فى آيات اللَّه واستجلاء معانيها مطلوب ومحمود..

غير أن فضل تلاوة القرآن ولو بغير فهم لها أجر عظيم.. فما السبب يا ترى !!! ما الحكمة فى فضل تلاوة القرآن الكريم ولو بغير فهم !!! نعم إنَّهُ كتاب اللَّه تعالى.. وفضله على كلام البشر كفضل اللَّه على البشر وهو كتاب ذكر وقربى إلى اللَّه تعالى وليس كتاب استدلال فقط.. إذا فلا بد أن يكون هناك سر فى تلاوته بغير فهم.. ولابد أن يكون هناك نور فى تلاوته.. وكما قال ﷺ إن بكل حرف حسنة..، ألم ثلاثة أحرف ألف حرف ولام حرف وميم حرف والحروف ليس لها معان.. فلماذا يكون لك ثواب فى تلاوة حروف لا تفهم معناها !!!

لابد أنك أدركت من هذا العرض أن هناك أسراراً وأنواراً وتجليات خاصة للروح تنالها بمجرد تلاوتها.. وهذه الأسرار قد يستجليها

**بعض أصحاب البصائر إذا أراد اللَّه لهم هذا.. وسبحان الفتاح العليم.. فاللَّه تعالى لا يأمرك إلا بشئ فيه منفعتك سواء علمتها أم لم تعلمها.**

**لذلك يقول تعالى فى سورة الحجر:**﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾، **القرآن العظيم فى كل شئ.. فى حروفه.. وألفاظه.. ومعانيه.. وأسراره.. وأنواره ويقول تعالى فى سورة الإسراء-٨٢:**﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾، **ويقول فى سورة فصلت-٤٤ :** ﴿ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ **ويقول فى سورة يونس- ٥٧:** ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾. **فهو شفاء بمعناه العام.. وشفاء خاص لظلام النفس وجهلها الذى سبق الكلام عنه فى الأبواب السابقة..**

**فإن قلنا لك إن وحى اللَّه تعالى يأتى للأنبياء على حسب سبحات أرواحهم القدسية فى عوالم اللَّه المختلفة فافهم إذاً معنى قوله تعالى فى سورة طه-١١٤:** ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾، **فهنا معنى دقيق.. ومذاق عالٍ نمسك عن الخوض فيه ولكنه يشير على أية حالة إلى درجة رسول اللَّه عند اللَّه والفارق بينه ﷺ وبين أمين الوحى جبريل عليه السلام.. فاللَّه تعالى يأمره ألا يعجل بالقرآن ولم يأمره أن يعجل أو يستعجل نزول القرآن.. فافهم الفرق بين المعنيين...**

**فالتالى لكتاب اللَّه تعالى يسبح فى أنوار كلام اللَّه تعالى.. ويسبح فى أنوار سبحات وروح رسول اللَّه ﷺ الذى أنزل عليه القرآن.. وفى هذا القدر كفاية.**

**كذلك الصور التى رآها رسول اللَّه ﷺ ليلة أسرى به.. ومنها من يزرع فى يوم ويحصد فى يوم وهو لم يلبث إلا قليلا من الليل.. وعذاب أهل الجحيم.. ونعيم أهل الجنة.. ثم الصعود إلى السموات. وتنبه جيدا إلى أن الصعود لم يكن إلى جهة ولا اتجاه.. فاللَّه تعالى لا يحده جهة ولا اتجاه.. نقول إن كل هذا لابد أن تفهم منه أن ما حدث قد حدث حيث لا زمان ولا مكان.. فالماضى والحاضر والمستقبل والمكان والزمان كل هذا من مدركات الجسد بشعوره وحواسه الأرضية.. بمعنى أنك لو غادرت المجموعة الشمسية التى يحدد اليوم فيها بغروب الشمس وشروقها.. فإذا أسقطنا الشمس من حسابنا وذهبنا إلى حيث لا شمس ولا قمر.. فكيف سنقيس الزمن !!؟**

**ولذلك ينبهنا اللَّه تعالى إلى هذه المعانى بآياته الكريمة:** ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ **(الحج - ٤٧)، ويقول: ...** ﴿ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ **(المعارج-٤).. فالقياس عند اللَّه تعالى ليس بالشروق والغروب.. فهذا قياس لبصرك وجسدك.. أما الروح التى هى من أمر اللَّه تعالى فلا يحجبها زماننا ولا مكاننا.. فافهم...**

**فانكشاف هذه الصور والأحداث لرسول اللَّه ﷺ.. وانعدام الزمان والمكان.. يدلك على أن اللَّه تعالى قد أفاض عليه من علمه.. فرأى ﷺ ما قد كان وما هو كائن وما سيكون جميعا فى آن واحد بصورة لا تكيف بعقل بشرى..**

**ولأقرب لك هذا المعنى.. هب أنك مررت بحديقة وسألت عنها فقالوا لك لقد كانت منزلا من قبل فهدمها صاحبها واستزرعها حديقة.. فلما مررت بعد سنوات عليها لم تجدها.. ووجدت أن صاحبها قد بناها**

مصنعا.. وبعد سنوات وجدت أن صاحب المصنع قد حوله إلى مدرسة مثلا ففى علمك البشرى أن الحديقة قد فنيت وأن المصنع كان موجودا ثم فنى.. والآن الموجودة هى المدرسة.. وكلها فى نظرك موجودات.. فانيات.. أما فى علم اللّه تعالى فالأرض هى الأرض وكل ما عليها إنما هو صور توجد وتتلاشى كالظلال ليس لها وجود حقيقى..

وكذلك جميع المخلوقات فى الكون بلا استثناء يكون وجودها وجودا مؤقتا..أما دائم الوجود فهو اللّه تعالى.. الثابت الذى لا يتغير ولا يتبدل..

ولذلك يطلق اللّه تعالى على جميع الكائنات اسم"الظلال" فيقول جل شأنه فى سورة الرعد :﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ (١٥) ﴾

.. فأنت مثلا ترى الناس تسجد للّه طوعا.. أما السجود بالإكراه فأنت لم تلمسه بعينيك.. فافهم هذه الدقيقة فتح اللّه عليك.. فسجود القهر باللّه سارى فى كل الموجودات سواء المؤمن أو الكافر.. فإن شئت أن تتعمق فى الفهم فانظر قوله تعالى فى سورة الرحمن : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾.. فالبقاء الحق.. للّه الحق وحده.. واسمه تعالى الباقى.. واسمه الحى.. فمن بقى فبه ومن حَيِىَ فبه.. وأنت ظل من الظلال.. وحقيقتك هى روحك ونفسك.. أما جسدك فهو من الظلال ..

فرسول اللّه ﷺحينما يرى تلك الصور فى إسرائه ومعراجه إنما يطلعه اللّه تعالى على ما شاء من علمه جل شأنه فيرى فيه ما نسميه نحن بالماضى والمستقبل فى آن واحد.. وصدق اللّه تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ

بِشَىۡءٍ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ (البقرة-٢٥٥)

**ولعلنا قد أجبناك عن تساؤلك السابق عن اللوح..والقلم..واللّه أعلم.**

**وقد سبق لنا القول بأن لفظ "الغيب" هو لفظ نسبى.. فغيب اليوم هو حاضر الغد بالنسبة للزمان. ومعجزات الرسول ﷺ فى هذا الشأن كثيرة .. فقوله لسراقة بن مالك "ارجع ولك سوار كسرى" يدل بلا شك على علم رسول اللّه اليقين بأن ملك كسرى سوف يؤول إلى المسلمين.. وأن سراقة سوف يكون حيا لم يمت بعد.. فوهبه ﷺ سوار كسرى وكتب له بذلك كتابا أنفذه عمر بن الخطاب.**

**وقوله ﷺ لزوجاته "كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب" كما رواه الإمام أحمد وغيره وهو المكان الذى وقعت قريبا منه موقعة الجمل بين سيدنا على وسيدنا معاوية عليهما رضوان اللّه، هو إخبار منه ﷺ بما حدث للسيدة عائشة رضوان اللّه عليها.. ولذلك طلبت الرجوع عندما سمعت نباح الكلاب فى ذلك المكان فى موقعة الجمل..**

**وقوله ﷺ لسيدنا أبى ذر رضى اللّه عنه.. تعيش وحيدا وتموت وحيدا.. كان من معجزاته ﷺ.. فقد مات فى الطريق.. ولم يكن معه إلاَّ ابنته .. فقال لها إن أنا مِتُّ فاخرجينى إلى الطريق لعل راكبا يرانى وقولى لهم هذا أبوذر صاحب رسول اللّه.. وقد فعلت كما أمرها أبوها..**

**وكذلك إخباره ﷺ بالفتن فى أمته وافتراقها على إحدى وسبعين فرقة.. وضعف المسلمين وتداعى الأمم عليهم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها وهذا ما نحن فيه اليوم. وكثير وكثير مما يضيق المجال عن ذكره..**

فإن قلت لى إن اللَّه تعالى يقول:﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ (الأنعام-٥٠)، أقول لك إنما هو يرد على المشركين الذين يطالبون بالخوارق والمعجزات عناداً ومكابرة.. وقد سبق التعرض لهذه النقطة فى هذا الباب. أما قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾... (النمل-٦٥)، فسبق لك أن علمت أن الغيب درجات.. منها الغيب النسبى.. ومنها الغيب المطلق.. وقد قال تعالى (الجن-٢٦و٢٧) :﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ فالاستثناء موجود وهو بأمر اللَّه تعالى ولمن يرتضى من عباده.. وعلى قدر الحاجة والحكمة من الإعلام بالغيب.. وهل قلنا نحن غير هذا !! ومن أحق من رسول اللَّه ﷺ بهذا الاستثناء.

ولا تعجب من قولنا هذا.. فإذا كان اللَّه قد أطلعه على خبر السماء وعوالم ملكوته وأراه من أياته الكبرى.. فماذا تكون الدنيا وأحداثها وغيبها وما عليها وهى لا تساوى عند اللَّه جناح بعوضة !!.

ورسول اللَّه ﷺ له الشفاعة الكبرى يوم القيامة..كما تواترت به الأحاديث...

ولقد وَهَمَ قومٌ فقالوا إن شفاعته ﷺ إنما هى لأهل الصغائر من أمته.. ونقول لهم.. وهل تحتاج الصغائر إلى شفاعة كبرى!!! يقول اللَّه تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ فاللمم أى الصغائر مغفور بإذن اللَّه تعالى دون شفاعة.. والناس تُعطى على قدر أقدارها.. والمواهب إنما تكون على قدر

معطيها.. وهل هناك أعلى ولا أعظم درجة من محمد ﷺ.. فشفاعته إنما تكون على قدره وإن جاهه عند اللّه لعظيم ﷺ. وإذا كان الشهيد يشفع في أهله... والصالحون يشفعون في ذراريهم.. فكيف برسول اللّه ﷺ!!!

ومن حديث الطبراني عن ابن عباس في حديث طويل ومنه قول رسول اللّه ﷺ "فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بُعث بهم على النار وحتى إن مالكا خازن النار يقول :يا محمد ما تركت النار لغضب ربك في أمتك بقية"

ويروى أحمد والحاكم والطبراني والنسائي وأبو داوود عن جابر وعن ابن عباس رضى اللّه عنهما قول رسول اللّه ﷺ "شفاعتى لأهل الكبائر من أمتي"، ويروى الأمام أحمد عن ابن عمر قوله ﷺ "خُيِّرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمؤمنين المتقين !! لا ولكنها للمؤمنين المذنبيين المتلوثيين الخطائيين"حديث صحيح.

فإن قلت إن المرء بعمله يوم القيامة.. وإن المرء يفِرُّ من أخيه وأمه وأبيه قلنا لك إنما يفرُّ"المرء" ولا يفرُّ المؤمن.. فالكافر يقول ياليتنى كنت ترابا.. والمؤمن لا يقول ذلك بل إن المؤمنين لا يحزنهم الفزع الأكبر والكافرون أفئدتهم هواء بنص القرآن الكريم..

ويقول تعالى ... ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ ... (البقرة-٢٥٥)، ويقول في سورة يونس-: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾

ويقول في سورة طه:﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوۡلاً ﴿١٠٩﴾ ﴾، فالشفاعة ثابتة وهى بأمر اللّه تعالى..

وهى استثناء وإكرام منه جل شأنه لعباده المؤمنين ولا ينكرها إلاّ جاهل متنطع..

روى ابن ماجة عن عثمان قوله ﷺ "يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء" حديث حسن، وروى أبو داوود عن أبى الدرداء قوله"يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته" حديث حسن ويروى أحمد ومسلم عن ابن عباس قوله ﷺ " ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون باللّه شيئا إلا شفعهم فيه" حديث صحيح

فإن قال قائل إن رسول اللّه ﷺ يقول لابنته السيدة فاطمة رضى اللّه عنها"اعملى فإنى لا أغنى عنك من اللّه شيئا"..

نقول صدق رسول اللّه ﷺ فإنه يعلّم الناس.. وإنما كانت رسالته ليعلم الناس ويحثهم على العمل.. وكذلك ليظهرﷺ عبوديته الكاملة للّه تعالى..فهو لا يغنى من اللّه شيئا.. إلا بأمر اللّه تعالى والمؤمنون يدخلون الجنة بفضل اللّه تعالى وبرحمته.. وإلا فمن ذا الذى يعبد اللّه حق عبادته.. ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴾ (يونس-٥٨).

بل إن رسول اللّه ﷺ يقول" لن يدخل أحدكم الجنة بعمله.. قالوا ولا أنت يا رسول اللّه قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى اللّه برحمته.." أو كما ذكره مسلم عن أبى هريرة فى الحديث قاربوا وسددوا.. إلخ فما يغنى العمل عند اللّه إن لم يزكّه ويقبله فضلا منه و كرما.. ولكن رسالتهﷺ هى إنما لحث الناس علىالعمل فافهم .

ورغم هذا فإنك تجد فى الوجه المقابل ما ذكره ابن عابدين فى حاشيته عن عمر ابن الخطاب قول رسول اللّه ﷺ" كل سبب ونسب منقطع إلا سببى ونسبى" والمقصود به يوم القيامة، يقول عمر بن

**الخطاب"لذلك تزوجت أم كلثوم بنت علّى بن ابى طالب"**

**ويروى ابن عساكر عن ابن عمر قوله"كل سبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبى وصهرى" حديث صحيح**

**ويروى ابن منيع عن زيد بن أرقم ومعه بضعة عشر من الصحابة قوله"شفاعتى يوم القيامة حق، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها" حديث صحيح**

**و تكون الكرامةللأولياء من أتباع النبى[1] بحسن اتباعهم لمنهج نبيهم.. فحسن اتباعهم لنبيهم أنار بصائرهم.. وزكى أرواحهم.. وطهّر نفوسهم فأجرى اللَّه على يديهم الكرامات لأنهم ما صاروا إلى ما صاروا إليه إلا بحسن اتباعهم والإخلاص فيه.. وهذا هو الميراث الذى تعرضنا له.. ميرات العلم باللَّه وصفاء القلوب وهو ميراث الأرواح والنفوس.. ألا ترى إلى الوالد فى الدنيا كيف يربى أولاده ثم يورثهم من ملكه.. فكيف بالأب الروحى.. مربى الأرواح ومغذيها ومعلمها.. ألا يورثها من أنوار اللَّه وأسراره.**

**فعمر بن الخطاب وهو فى المدينة يرى سيدنا سارية فى الشام يحارب فيحذره من التفاف الجيش حول الجبل.. ويقول : الجبل يا سارية الجبل.. ويسمعه سارية وهو فى الشام ويلتفت ليرى جيش الأعداء يلتف حول الجبل..**

**وعثمان بن عفان رضى اللَّه عنه يدخل عليه رجلان فى رمضان**

(١) ورد فى كتاب بستان العارفين للنووى :
فصل [كل كرامة لولي معجزة لنبي] قال القشيري رحمه الله تعالى: إن قيل كيف يجوز إظهار [هـذه] الكرامات الزائدة في المعاني على معجزات الرسل؟.-قلنا: هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا [محمد] صلى الله عليه وسلم، لأن كل من ليس بصادق في الإسلام تمتنع عليه الكرامات. وكل نبي ظهرت له كرامة على واحد من أمته، فهي معدودة من جملة معجزاته، إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً لم تظهر على من تابعه الكرامة. يعني التي هي الكرامة لهذا الواحد. [ص ١٦٤]

فيقـول لهمـا مفطـران فـى رمـضان !!! أرى أثـر الفتنـة علـى شـفاهكم.. فيتعجبان من أمره ويقولان أنبوة بعد رسول اللّه.. لقد تحـدثنا عـن فلان ونحن قادمان.. فيقول سيدنا عثمان.. لا.. ولكنها فراسة المؤمن..

ويذكر ابن كثير فى الجزء السادس مـن موسـوعته البدايـة والنهايـة المئات من هذه الكرامات ومنها ما كان لأبى عيسى الأنصارى الحارثى حيث كانت عصاته تنير له الطريق ليلا، وكذلك عبّاد بـن بـشر وأسيد بـن حضير عندما كانا يـسيران لـيلا ولهمـا ضـياء يـنير طريقهمـا فلمـا افـترق كـل منهما الى بيته صار مع كـل منهمـا نـور يضئ لـه. وكـان خبيبـا بـن عـدى أسيرا فى مكة وعنده قطوف من العنب وما فى مكـة يومـذاك حبـة عنـب، وكانت الملائكـة تـسلّم علـى عمـران بـن حصين وكـان البـراء بـن عـازب مستجاب الدعوة. وغيرهم كثيرون رضى اللّه عنهم أحمعين.

ولو قرأت سير الصحابة والصالحين لوجدت الكثير والكثير.. وكلـها إكرام لرسول اللّه ﷺ ولمن اتبع هداه وسار علـى نهجـه.. ولكننـا نكتفـى بالإشارة إليها حتى إذا رأيـت رجـلا صالحا أكرمـه اللّـه تعـالى بكرامـة فـلا تتعجل بالإنكار عليه فإن هذه الكرامات هـى إكـرام لرسـول اللّـه ﷺ فـى صورة أتباعه المخلصين ..

وبعد فإن كل مـا ذكرتـه لـك فـى هـذا البـاب.. إنمـا خاطبتـك فيـه بمنطقك وعقلك.. وليس هـذا مـا كنـت أريـده.. ولكـن اللّـه تعـالى ألجـم لسانى عمـا سـواه.. فاكتفيت بهذا القدر.. ومـا أهونـه فـى الحـديث عـن رسـول اللّـه ﷺ.. فإنـه فـوق العقـول.. وفـوق الإدراك.. وإن فـى ذلـك لذكرى لمن كان له قلب.. أو ألقى السمع وهو شهيد..

## موجز الباب الخامس

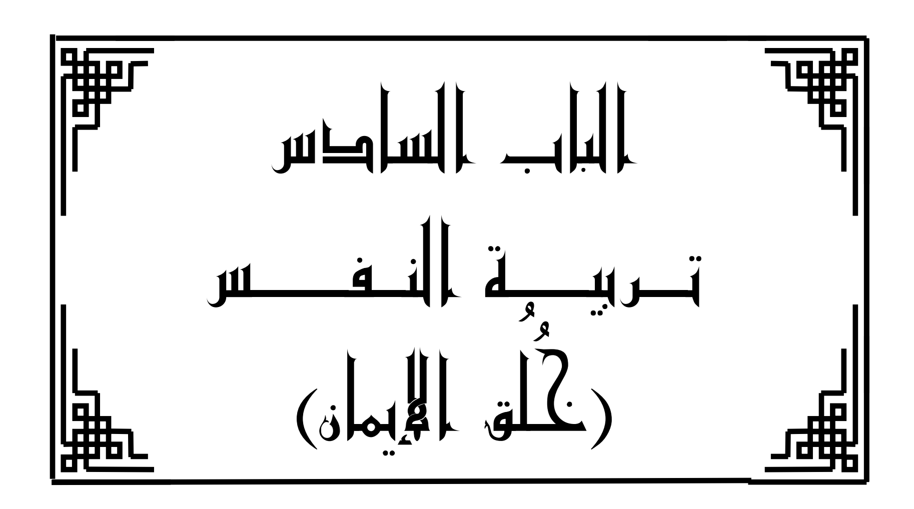
**فإن أردت إيجازا لما قلنا فى هذا الباب فنقول :**

- **محمد رسول اللَّه.. سيد البشر.. وإمام المرسلين.**
- **هو الروح الأعظم.. والنفس الأقدس.. والبشرية الكاملة.**
- **أسرى به اللَّه تعالى.. وعرج به إلى السماء ورأى الآية الكبرى حيث لا زمان ولا مكان**
- **كل ما يسرى فيك من إيمان هو من نور إيمان رسول اللَّه ﷺ.**
- **فضل الصلاة عليه لا يعد ولا يحصى وهى باب حب رسول اللَّه.**
- **نور القرآن فيه سر روحانية رسول اللَّه.**
- **لرسول اللَّه الشفاعة الكبرى يوم القيامة.**
- **حبه وحب آل بيته وصحابته فرض على كل مسلم.**

* * *

وصلى اللَّه عليك يا سيدى يا رسول اللَّه بكل صيغة قالها مخلوق أو كررها مخلوق بعده من يوم أن خلق اللَّه الدنيا إلى ما لانهاية كما يليق بجلالك وجمالك وكمالك وكما تحب وترضى.. وحتى ترضى عنا.. اللَّهم لا تحرمنا شفاعته واحشرنا معه وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه.. واجمعنا عليه فى الدنيا والآخرة يارب العالمين.. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك.

* * *



# الباب السادس

# تربية النفس

# (خُلق الإيمان)

سبق القول بأن الإيمان هو فطرة اللَّه التى فطر الناس عليها.. وأن النفس منذ أن استقرت فى الجسد وهى حريصة عليه وعلى تدبير أموره الدنيوية.. وأن انشغالها بالدنيا وزينتها وشهواتها قد أصّل فيها الأنانية وحب الشهوات وأنساها أوامر اللَّه تعالى من الحرام والحلال.. وبالتالى ابتعدت عن نورانية الروح الأصلية .. وزاد عليها الرين فى القلب حتى انفصلت بالكلية عن عالمها العلوى .. وأصبحت حبيسة الجسد وماديته.. وصارت ملقبة بالنفس الأمارة بالسوء .. فهى لا تهتم إلا بشهواتها.. وحدود معرفتها هى العالم المادى الدنيوى لا غير ..

فإن تنبه صاحبها لما هو فيه من الخطر والبعد عن اللَّه تعالى فبدأ فى جهاد نفسه وردها إلى الفطرة العلوية .. فإن ذلك يستلزم الجهاد الشديد ضد نفسه الأمارة بالسوء ليغير من أخلاقها ويردها إلى الصواب..

وأول منازل الجهاد هو أن يعرف العبد أولا ما هو عليه من سوء فعال .. وما اكتسب من أخلاق ذميمة .. ثم يقلع عنها ويتوب منها.. ويلى ذلك التخلق بالأخلاق الحميدة المطلوبة شرعا..

وحيث إن التوبة هى الندم على فعل الذنب والإقلاع عنه والعزم على عدم العودة إليه .. فيكون معناها تغيير أخلاق النفس .. وحيث إن أخلاق النفس مكتسبة كما قلنا فمن الممكن تغييرها بشئ من الجهاد .. يقول تعالى (الرعد-١١) :﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ... ﴾ فذلك يدل دلالة قاطعة على إمكان تغيير صفات النفس البشرية..

وانظر إلى أخلاق العرب فى جاهليتهم وكيف نقلهم الإسلام إلى أعلى درجات النفس وإلى الهداية الربانية العالية.. وكان أول ما تغير فيهم هى أخلاقهم .. ونظرهم وتقديرهم للشهوات الأرضية وزينة الحياة

الدنيا..وتصديق قول اللّه تعالى وقول رسوله أنها لا تساوى جناح بعوضة.. ثم ما تلا ذلك فيهم من فعل الطاعات والقربى إلى اللّه تعالى.. والجهاد فى سبيله بالمال والنفس..

كان الرجل يأتى رسول اللّه ﷺ فيؤمن به .. ويشهر إسلامه وفى يده تمرات يأكلهن .. والحرب على قدم و ساق .. فيقول : يا رسول اللّه أليس بينى وبين الجنة إلا ان أحارب فأُقتل فأدخلها .. فيجيبه رسول اللّه بالإيجاب .. فيلقى الرجل ما فى يده من تمرات ويقول : إنها إذاً لحياة طويلة . أى لم يعد عنده صبر على عدم دخول الجنة حتى ينتهى من أكل تلك التمرات .. بل هو يستعجل الجهاد .. والجنة ..

فانظر كيف غير الإيمان فى قلوبهم نظرتهم إلى الدنيا وشهواتها وانظر كيف تبدل فى نفوسهم يقينهم بالأخرة وثوابها.

وقوله ﷺ فى الحديث عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن الناس معادن وإن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا .. يدل على أن طباع النفوس من قوة وضعف إنما هى فى أصلها وأساسها ومعدنها .. فالنفس أو الروح القوية الأصل تكون قوية فى الشر بحكم قوتها الذاتية .. كما تكون قوية أيضا فى الخير إذا تبدلت صفاتها واتجهت إليه .. ذلك لأنه أصلها ومعدنها هو القوة..

فتغيير الأخلاق فى النفس ممكن بلا شك .. والطريق إليه هو كما أشرنا إليه يبدأ بمعرفة ما هى فيه من البعد عن اللّه تعالى .. وذلك لا يكون إلا بدراسة أحكام الشرع وحدود الحلال والحرام .. وهذا هو العلم المكتسب بالقوة التفكيرية فى النفس كما قلنا من قبل ..

وقوله ﷺ إن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة إنما يقصد به فى الدرجة الأولى ذلك العلم الضرورى بأسس العبادات للّه تعالى من طهارة وصلاة وزكاه وصوم وحج ومعرفة الكبائر والصغائر .. وما يدعو

إليه الدين من فضائل الأعمال.. وأن يفرق بعلمه هذا بين الحرام والحلال والجائز والمكروه والمستحب .. وأن يتعلم كذلك كيفية تلاوة القرآن الكريم ونطق حروفه وإظهار مخارجها ..

فهذا العلم هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة قادر أو قادرة عليه بأية وسيلة للتعلم سواء بالقراءة أو الاستماع .. أو تقليد من يثق فى صلاحه وتقواه وعلمه..

ولعل المقصود من قول رسول اللَّه ﷺ " رفع عن أمتى .. الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " كما رواه الطبرانى أن الخطأ هنا مقصود به الخطأ الناتج عن اجتهاد سبقه علم .. أى مسألة عرضت لإنسان فجأة .. فاجتهد فيها على قدر علمه بالشرع فأخطأ .. أما أن يكون جاهلا بها من الأصل دون عذر مقبول مع عدم اجتهاده فى معرفة الخطأ والصواب فذلك شأن آخر.

ولأضرب لك مثال من أحكام الفقه عندنا : إذا نزل المسلم فى مكان وحان وقت الصلاة فتحرى القبلة بسؤال صاحب المكان أو باستجلاء الجهات الأصلية وصلى على هذا الأساس بعد أن اجتهد على قدر استطاعته .. فإن ظهر له بعد انتهاء الصلاة أنه كان إلى غير إتجاه القبلة فإنه لا يعيد الصلاة .. لأنه قد اجتهد قدر طاقته فإن اخطأ بعد اجتهاده فاللَّه يغفر له خطأه..

أما إذا لم يسأل عن القبلة ولم يتحرَّ اتجاهها .. وصلّى دون اجتهاد منه ثم ظهر له بعد انتهاء الصلاة أنه قد صلى على غير القبلة فإنه تجب عليه إعادة الصلاة .. لأنَّهُ لم يجتهد فى معرفة الصواب .. فخطؤه على نفسه ومسئول هو عنه..

فأنت ترى أنه لم يصل إلى جهة القبلة فى الحالتين .. غير أنه إذا اجتهد قدر استطاعته فلا إعادة عليه.. وإن قَصرَّ فى الاجتهاد فعليه

الإعادة ..فالمطلوب هو الاجتهاد..

وقولنا إن المسلم عليه أن يتعلم قدر استطاعته هو محل نظر.. فالنفس بطبعها تميل إلى الكسل والشهوات وتتعلل بالأعذار .. فإذا كنت فى بلد إسلامى .. وحولك مسلمون والمساجد بها الأئمة والعلماء.. والدعاة فى كل حى وشارع .. والكتب التى تشرح النواحى الإسلامية ميسرة فى كل مكان .. فأى عذر لك بأمور دينك وأى استطاعة أنت لا تقدر عليها سواء كنت أميًا أو غير أمىّ!!.

إنك لو جعلت لك فى كل يوم دقائق معدودة لتنال من هذا العلم ما هو ضرورى لكفتك هذه الدقائق .. فإن كنت تضيع وقتك كله فى المدارس لدراسة العلوم الدنيوية . ثم تُضيّع باقى وقتك أمام أجهزة الإعلام ومسلياتها . فاى عذر لك إن أضعت نفسك بجهلك بأحكام دينك.. وأى استطاعة أنت لا تقدر عليها.

نعود فنقول إن هذه الدرجة الأولى من درجات العلم هى التى تنير لنفسك أول الطريق إلى اللّه تعالى لتعرف بداية أين أنت من الحلال والحرام ..

ثم بهذا العلم المكتسب .. تبدأ أنت فى الحكم على أعمالك المطابقة للشرع وغير المطابقة له .. وكذلك تستطيع الحكم على الخواطر النفسية التى تسبق الأعمال كما قلنا سابقا .. فإن خطر لك خاطر بأمر ما وزنته بميزان الشرع وعرفت إن كان حراما أو حلالا..

واعلم أن الخواطر الظلمانية .. أى التى تدعوك إلى فعل الشر هى نوعان .. الأول من الشيطان .. والثانى من النفس .. وكلاهما سيئ.. ولكن لكل منهما علاج .. فإن ألحّ عليك الخاطر وعاودك بذاته لا يتغير مرة بعد مرة فهو من النفس لتعلقها بفعله وشهوتها له.. أما إن تغير الخاطر وعاودك خاطر ظلمانى غيره فهذا يكون من الشيطان .. لأن إبليس لا

يعنيه ذنب معين .. فإن لم تستجب له فى معصية دعاك لأخرى .. وهكذا..

وخير علاج لقطع هذه الخواطر الظلمانية إجمالا عنك هو تلاوة القرآن .. وذكر اللَّه تعالى ..

فإذا ما علمت حدود الحرام والحلال من دينك فقد أصبح لديك ميزان الشرع الإلاهى .. ونوره الفارق لك بين الحق والباطل.. فليس لك ميزان غيره تعرف به الخطأ من الصواب فيما يعرض لك .. حينئذ يجب عليك أن تتنبه إلى ما أنت فيه من فتن كقطع الليل المظلم والعياذ باللَّه.. وهذه الفتن هى مادرج عليه الناس من معاصى وساروا عليه من نهج ضال حتى صار لهم عادة وعرفاً يتحاكمون إليه .. فاحذر هذه الفتن وانظر إلى قوله تعالى (الأنعام-١١٦):﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾، وإلى قوله ﷺ "لا يكونن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت .. وإن أساءوا أسأت.. ولكن وطّنوا أنفسكم "

فالإسلام لا يعترف بعرف اجتماعى ولا قيمة اجتماعية إلا إذا كانت مطابقة لشرع اللَّه تعالى .. وموزونة بميزان الحلال والحرام .. فلا حلال إلا ما أحله اللَّه .. ولا حرام إلا ما حرمه اللَّه تعالى .. أما العادات والأعراف فهى كما قلنا من قبل تختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن طبقة إلى أخرى .. ومن بلد إلى بلد.. فاحذر أن يُضَيِّع عليك التشبه بالناس واستجلاب رضاهم رضا الله عنك .. فإن أسوتك وقدوتك هو رسول اللَّه ﷺ.. وأنت محاسب على أعمالك وليس على أعمال الناس. وليس لك منهم شفيع يوم القيامة..

واعلم أن الأصل فى العبادات والطاعات هو الاتباع وليس

الابتداع.. فليس لك اجتهاد ولا رأى فى أمور الدين التى أقَرها اللّـه ورسوله.. وكل أمر تراه بين الناس وليس له سند ولا دليل شرعى يرفعه إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وصحابته الكرام فهو مرفوض مردود .. فقد أتم اللَّه الدين وأكمله على رسوله ﷺ فلا تغير فيه بنقص أو زيادة ..

أما الأصل فى الأمور الدنيوية فهو الحِلّية أى التحليل.. فلا يحرم إلا ما حرم اللَّـه ورسوله .. ولا تسل عن السبب فى التحريم والعلة فى ذلك فإن العلم حتى اليوم لم يكتشف أسرار الكون ولا يدرك منها إلا أقل القليل.. وبالتالى لا يستطيع أن يدرك الضرر من كل ما حرم الدين.. فإن عرفت سبب التحريم فهو خير.. وإن لم تعرف فليس ذلك بالضرورى.. فالمقصود هو السمع والطاعة لأوامر اللَّـه بلا تعليل ولا تفنيد .. أى كما قلنا سابقا إن الدين هو ألوهية .. وعبودية .. فقط.

ونقطة أخرى نوردها لأهميتها .. تلك هى أن النفس بطبعها لا تعيش فى فراغ فهى إن لم تشغلها أنت بالحق شغلتك هى بالباطل.. ولا يمكنك تغيير أخلاق النفس إلا إذا أبدلتها بما يشغلها .. وقد سبق القول بأن النفوس فتنة بعضها للبعض .. فالنفوس الأقوى من نفسك شراً تجذب نفسك إلى الشر .. والنفوس التى هى أقوى من نفسك فى الخير تجذب نفسك إلى الخير .. فإن أردت أن تغير صفة ذميمة فى نفسك فلن تستطيع إلا إذا استبدلتها بصفة حسنة أخرى وتركت المجال والجو العام الذى تنمو فيه تلك الصفة الذميمة وعشت فى الجو العام الذى تعيش وتنمو فيه هذه الصفة الحميدة..

يقول ﷺفيما رواه أبو داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى اللَّه عنه "تحولوا عن مكانكم الذى أصابتكم فيه الغفلة " حديث صحيح.

وهذا يوضح لنا أنه حتى الأماكن فيها ما هو مبارك يساعدك على ذكر اللَّه تعالى ، وفيها ما هو غير ذلك.

فإذا كانت نفسك مثلا تميل إلى اللَّهو والطرب.. وتجلس فى مجالس أهل الفسق والفجور .. وأردت توبة من هذا الأمر .. فاستبدل مجلسك هذا بمجلس خير وذكر فى مسجد مثلا .. فتترك المكان إلى المسجد.. وتترك الطرب واللَّهو إلى الذكر .. أما إذا انقطعت من مجلس اللَّهو والطرب ولزمت بيتك دون أن تقوى نفسك بطاعة بديلة فإن النفس سرعان ما تملّ المنزل وتحنّ إلى اللَّهو .. ولا تزال تعاودك وتلحّ عليك حتى تعود كما كانت..

فعليك أن تعامل نفسك كالطفل إذا تعلق بدمية تؤذيه .. فخذها منه وأعطه بديلا منها لعبة أخرى يتعلم منها ما ينفعه .. فهذه هى التربية.

واعلم أن النفس هى كالطفل حقيقة .. فهى سريعة التأقلم إن وجدت منك إصرارا على تقويمها.. وانظر إلى أمر بسيط نلاحظه فى شهر رمضان .. فأنت تجد صعوبة فى صيام الأيام الأولى منه وتشعر بالجوع والعطش فى أوقات إفطارك وغدائك .. وعشائك قبل الصيام فإذا انتهى رمضان فإنك تجد نفسك قد تعودت على الإفطار والسحور ولم تعد تقبل إفطارا وغداءً حتى تتعود مرة أخرى على النظام الجديد..

وكم من أمور فى حياتك العادية أنت تعتبرها ضرورية لمعيشتك ولا غنى عنها.. فإذا اضطرتك الظروف القهرية إلى تركها والتنازل عنها.. انعدمت رغبتك فيها وصرت تنظر إليها على أنها لا ضرورة لها..

ومقصود كلامنا هو أن تعامل نفسك كالـمُربِّى لها .. وأنت الأعلم بما يصلحها وما يفسدها وميزانك فى هذا هو ميزان شرع اللَّه لا غير.

ومن هذا تفهم قوله ﷺ"إنما العلم بالتعلّم .. والحلم بالتحلّم"..

وقوله ﷺ "اقرأوا القرآن وابكوا .. فإن لم تبكوا فتباكوا .." فكل هذا هو تدريب للنفس وتوطين لها لاستخراج ما فيها من خير .. حتى يصير اصطناعك للطاعة والعبادة طبيعة لا اصطناع فيها ..

ولا تتصور أن هذا هو النفاق أو الرياء .. فإنما النفاق والرياء لمن يقصد الناس فى العمل من دون اللَّه تعالى .. بينما أنت فى كل هذا تقصد وجه اللَّه تعالى وتقصد مداواة نفسك من أمراضها ولا مانع من وضع بعض العسل أو السكر فى الدواء حتى تستسيغه النفس فى البداية.. فإن ذاقت بعد ذلك حلاوة الإيمان والشفاء من أمراضها صارت العبادة هى مبتغاها وراحتها ..

وهذه المرحلة هى أشد المراحل فى تهذيب النفس ذلك لأنها فى أسفل سافلين وغارقة فى شهوات الدنيا من كل جانب .. ونورها ضعيف .. ومنطقها عقيم .. وتفكيرها مُعتل .. لذلك وجب عليك صدق الالتجاء إلى اللَّه تعالى وكثرة الدعاء والرجاء إليه والاستجارة من نفسك وغوائل شهواتها .. وأن تستعين بالصالحين من عباد اللَّه الذين سبقوك فى هذا العلاج وتكثر الجلوس معهم لتستفيد من أرواحهم ونور مجالسهم و علمهم .. فلا تصاحب إلا من يعينك على طاعة اللَّه وأن تبتعد عما يلهيك عن ذكره جل شأنه..

فإن فعلت هذا -وإنك إن شاء اللَّه لفاعله- فإنك ترى الأمور حينئذ على حقيقتها وقد تكشفت لك .. فتعلم إلى أى مدى أنت بعيد عن اللَّه تعالى ؟.. وكيف أنك قد نسيت آخرتك وموتك .. وعذاب القبر وتركت ربك وهدايته ..

وبهذا يبدأ الندم ينمو فى نفسك .. والحرص على الطاعة يزداد فيها ويكبر الصراع فيها بين الخير والشر .. ولكنك الآن قد عرفت الشر ومقاييسه وأصبحت لا تلتمس العذر لتهاونك فى طاعة اللَّه .. فتذكره مرة

وتغفل عنه مرات .. وتنازعك نفسك إلى الدنيا فتنجح فى ردعها مرة وتفشل مرات .. فهذه هى رتبة النفس اللوامة التى أقسم اللّه تعالى بها فى كتابه من شدة ما تعانى من جهاد وتعب .. فلا هى مطمئنة إلى الآخرة .. ولا هى تاركة لشهوات الدنيا..

وهذه المرتبة هى تقريبا مرتبة عامة المسلمين .. فهم بين الخير والشر والذكر والغفلة..

ومن خطورة هذه النفس كثرة لومها على نفسها وعلى الناس أيضا.. فهى كثيرة اللوم والنقد لهم .. والخطورة تكمن فى أن انشغالها بالناس والحكم عليهم وعلى أعمالهم قد يجرها إلى الغيبة والنميمة والحقد والحسد والتكبر على عباد اللّه لظنها بأنها افضل منهم .. وكذلك قد يجرها إلى مزيد من الرياء لتظهر بمظهر من هى أفضل وأقوم ..

فالحصيف وهو فى تلك المرحلة هو من لا يتعدى نظره نفسه باحثاً عن عيوبها .. محاولا تقويمها مريحا الناس من شره . ولا ينظر إلا إلى من هو أكثر منه عبادة وتقوى لعله يستفيد منه ..

ويعلمك رسول اللّه ﷺ مفاتيح تأديب النفس فيقول " أمسك عليك لسانك .. وليسعك بيتك .. وابك على خطيئتك" .. فالصمت إلاَّ عن ذكر اللّه تعالى هو أعظم باب للتقوى .. والانعزال عن الناس إلا للضرورة من معيشة وعلم وأدب أو عمل هو خير باب للتفكير فى نفسك وقضاء وقتك فيما يفيدك فى الآخرة .. والندم على الخطايا والذنوب هو خير باب للتوبة النصوح والإقبال على اللّه تعالى ..

واعلم أن العبد مطالب فى تدرج تهذيب نفسه بالبعد أولا عن الكبائر .. ثم اجتناب الصغائر .. مع الاقبال على التمسك بسنة رسول اللّه ﷺ قدر استطاعته ويزيد تمسكه بها إقتداؤه بالرسول ﷺ شيئا فشيئا..

يروى أحمد ومسلم وغيرهم عن أبى هريرة رضى اللَّه عنه ان رسول اللَّه قال ﷺ " ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشيئ فاتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيئ فدعوه " حديث صحيح

واعلم كذلك أن أغلب الكبائر إنما تجرك إليها الصغائر.. فالزنا وهو كبيرة بابه النظر إلى المحرمات .. فالنظرة سهم من سهام إبليس كما قالﷺ فإن وفقك اللَّه وأعانك على اتقاء هذه النظرة فقد أغلقت فى وجه إبليس باب الزنا .. وهكذا تجد لكل كبيرة مفتاحاً لها من الصغائر.. فالطمع فى الدنيا يجر إلى الربا .. وحب المال يجر إلى الظلم.. والغضب قد يدعو إلى القتل .. وهكذا..

وحب الدنيا فى الحقيقة هو باب كل خطيئة .. فإن زهدت فيها بقلبك ولم ترد منها إلا الضرورة التى تحفظ عليك وعلى أهلك الستر مع الكفاف فقد أرحت نفسك من جهاد كبير.. يقول ﷺ " اليد العليا خير من اليد السفلى .. وابدأ بمن تعول ولن تلام على كفاف .." يعنى أن معطى الصدقة خير من آخذها .. والواجب عليك أن تكفى أولا من تعولهم لأنك مصدر رزقهم الذى جعله اللَّه لهم .. ولا تسرف ولا تقتر .. ولكن عليك بالكفاف. أى بحد الكفاية .. ولن تلام عليه من مؤمن منصف أما إن لامك أهل الدنيا وأصحاب شهواتها فلا تلتفت إليهم فإنما هم فتن حولك..

وليس المقصود بالزهد فى الدنيا هو أن تترك أسباب معاشك وتعيش فقيرا تتكفف الناس .. فهذا ليس بالزهد.. فربّ فقير محروم متمسك بالدنيا حريص عليها مشغول بها قلبه .. ورُبّ غنى متيسر الحال وهو زاهد فيها لا يلتفت إليها .. فالمقصود بالزهد هو ألا ينشغل بها قلبك ليل نهار وألا تكون هى أكبر همك ومنتهى أملك فإن جاءتك فبها

ونعمت.. وإن لم تأتك فقد أراحتك من الهم فيها .. فلا مانع أن تكون الدنيا كلها فى يدك ولكن انشغال قلبك لا يكون إلا باللّه والدار الآخرة فهذا هو المقصود من الزهد فى الدنيا .. فمن انشغل بالدنيا نسى الآخرة .. ومن انشغل باللّه نسى الدنيا والآخرة فافهم ، ولقد كان فى صحابة رسول اللّه ﷺ أغنياء مُوسِرون وكانوا زهاداً لا تلهيهم الدنيا ولا ما فى أيديهم ويعطون عطاء من لا يخشى الفقر .. والغنى الشاكر افضل عند اللّه من الفقير الصابر .. لأن الغنى الشاكر ناظر إلى المنعم المتفضل عليه رب العالمين.

فالزهد المطلوب هو ألا تنشغل بالدنيا حتى وإن كانت فى يدك فلا تأس على ما فاتك منها.. ولا تفرح بما أتاك فيها .. فلا تطلب من الدنيا ما قد يطغيك .. ولكن اطلب من اللّه تعالى ما يسترك أنت وأهلك.. فإن جاءتك الدنيا فأحسن القيام للّه فيها بما أوجب ولا تشغل قلبك عن اللّه طرفة عين .. أما الطمع فى الدنيا فلا نهاية له كالشرب من ماء البحر لا يزيدك إلاَّ عطشا .. ولو أن لابن آدم واديا من ذهب لتمنى أن يكون له واديان .. ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب.. وصدق رسول اللّه.

فازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس .. وازهد فى الدنيا يحبك اللّه ..

وأقوى سلاح لك على نفسك فى هذه الدرجة .. وفى كل درجات النفس بلا استثناء هو ذكر اللّه تعالى .. وخير الذكر هو قول لا إله إلاَّ اللّه .. ترددها بلسانك وتكررها وأنت فى كل حالة وفى كل وقت فإن لها سراً عظيما فى قطع خواطر النفس والشيطان وهذا ما تحتاجه أبداً واجعل القول بلسانك وتعلم كيف يذكر قلبك مع لسانك فيردد معناها وهو ألا معبود بحق إلا اللّه .. أولا مقصود لك إلاَّ اللّه .. بل فى الحقيقة

لا موجود بحق دائم الوجود إلا اللّـه تعالى .. فلابد أن تردد بلسانك القول وبقلبك المعنى فإن ذلك ينير قلبك ويسمو بروحك .. ومع تكرار ورود المعنى على قلبك سوف تتذوق بإذن اللّـه معانى عَليَّة .. لا تقال فى بيان .. ولكنك تحس بها فى قلبك فإن ذكر اللّـه الخالص يطمئن القلب وينير البصيرة .. وكذلك الذكر بلفظ الجلالة .. وهو اسم اللّـه .. الجامع لجميع الأسماء والصفات فإن له نوراً يحرق جميع الخواطر لينير قلبك بعد ذلك باللّه تعالى فافهم ..

أما استغفار اللّه تعالى فهو الباب الأعظم للتوبة الصادقة وإدرار الرزق عليك .. ألا ترى إلى قول اللّه تعالى فى سورة نوح:﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾

وإذا كان رسول اللّه ﷺ يقول "إنى استغفر اللّـه تعالى فى اليوم سبعين مرة" وفى رواية "مائة مرة" وهو المعصوم من الخطأ والزلل .. فكيف بأمثالنا وذنوبنا ومعاصينا!!

أما الصلاة على رسول اللّه ﷺ فهى باب كل خير كما سبق أن قلنا وأنوارها تنير بصرك وبصيرتك وروح رسول اللّـه ﷺ تؤانس روحك ويصلى عليك اللّـه وملائكته .. ويذهب همك وينجلى كربك بنور الصلاة عليه ﷺ.

فهذه الأنواع الثلاثة من الذكر لازمة لك ولنفسك ولا غنى عنها..

ولكن هناك أمر فى غاية الخطورة .. وذلك هو ضرورة دوام واستمرار هذه الأذكار وإن قلّت .. فالقليل الدائم خير وأنفع من الكثير المنقطع .. ذلك لأن استمرارية الذكر باللّه تعالى يوالى تنزل الملائكة

على النفس بالرحمات والأنوار .. والانقطاع يحمل فى معناه أن اللّه تعالى لا يستحق منك هذا الذكر.. وصنبور الماء الذى تنزل منه نقطة نقطة تراه بعد زمن وقد أثرت نقاط الماء فى جانب الحوض الشديد الصلب .. بينما لو جمعت هذه النقاط الضعيفة المتتالية كلها وارقتها دفعة واحدة لما تركت أى أثر فى جدار الحوض..

فدوام الذكر أعظم شأنا من كثرة الذكر بلا استدامة عليه..

وكل ما ذكرناه سابقا أمور عامة تصلح لكل نفس .. ثم يبقى بعد ذلك أن تبحث أنت عن أحب أوجه الخير إليك .. فالأوفق فى هذه المرحلة أن تأخذ نفسك بما يناسبها من فعل الطاعات .. والا تشتد عليها فتسأم وتتمرد عليك .. فالأفضل أن تهادنها فى طاعة اللّه .. فنفس تميل إلى تلاوة القرآن .. ونفس تميل إلى ذكر اللّه .. ونفس تميل إلى قضاء مصالح الناس .. ونفس تميل إلى الاطلاع والعلوم الدينية .. وهكذا.. فالأوفق أن تختار لنفسك ما يوافقها من أوجه الخير وتزداد فيها نشاطا وعملا مع توجه قلبك إلى اللّه تعالى فى كل ما تعمل...

واعلم أن كل ما ذكر من جهاد لا يصلح معه إلا الرزق الحلال.. فإن أكل الحرام هو السبب فى كل معصية .. فاجتهد فى طلبه ودع ما يريبك إلى مالا يريبك فيه ..

ولا يثمر الجهاد ثمرته إلا إذا وجهت وجهك ووجهتك إلى اللّه تعالى .. فإن لم تخلص له جل شأنه وتبتغ وجهه الكريم وتتعلم كيف يتحدث قلبك بالشكر إليه ومراقبته جل شأنه وتجدد نيتك وتزكها فى كل ما تفعل فقد أجهدت نفسك بلا ثمرة..

ولا يخلو السير إلى اللّه من نكوص النفس إلى عاداتها وشهواتها .. فإن غلبتك نفسك وقُدِّرَت عليك فاحشة .. فاذكر اللّه تعالى واطلب رحمته وغفرانه.. وتب إليه .. حتى وإن تكرر الذنب فإن اللّه لا يملّ من

المغفرة حتى يملّ العبد من الاستغفار والتوبة .. فأنت تقصد كريما وسعت رحمته كل شئ .. وكل ابن آدم خطاء .. وخير الخطائين التوابون..

فاتجه بقلبك إلى اللَّه دائما فى طعامك وشرابك وعملك وذكرك.. ونعمائك وبلائك فإن غفلت فارجع إليه .. وإن أذنبت فاستغفره.. وإن نسيت فاذكره .. فذلك أصل الهدى لمن أراد اللَّه له الخير .. ويعينك على العبادة والطاعة ويورثك نوراً فى قلبك تنبسط له الجوارح بالعبادات والطاعات.. فاجعل همك الأكبر هو توجيه نيتك إلى اللَّه فذلك هو المطلوب أولاً وأخيراً..

وتربية النفس عموما لها طريقان لا ثالث لهما .. فالأول ان تُعلّم جوارحك الطاعات وكثرة العبادات والبعد عن المنكرات والصفات الذميمة فى النفس .. فتنصب هذه الثمار على قلبك حتى ينير بإذن اللَّه فيكون مثلك كمن أراد أن يروى أرضا له فحفر قنوات من الأنهار تمدها بالماء من كل جانب .. فكل قناة هى أسلوب عبادة تمد قلبك بالنور والهدى ولابد أن تكون حريصا على وصول الماء إلى أرضك من كل قناة بإحسان العبادة وحسن أدائها حتى تضمن ثمرتها إلى قلبك.. وهذا الأسلوب فيه جهاد كبير وفيه خطورة الانتكاس إذا ملّت النفس ولم تنجح فى سياستها ..

والثانى أن تتعلم مراقبة اللَّه بقلبك أولا وتستعين بالذكر وحسن توجيه قلبك إلى اللَّه دائما من البداية فحينئذ تنبسط جوارحك بالطاعة دون تكلف لأنك قد أصلحت قلبك أولا وهو المحرك لافعالك والدافع إليها فيكون مثلك حينئذ كمن حفر بئرا فى أرضه تمده بالماء العذب على الدوام .. فلا يخشى انقطاع الماء عنها من القنوات الفرعية.. فإن فيضان الماء من بئرك الخاص إلى أرضك الخاصة خير لك من سريان الماء إليها من قنوات موصلة إليها من الخارج .. فربما قطعها

عليك قاطع من النفس أو الشيطان بتكاسل أو غواية فتموت الأرض أو تجهد نفسك مرة أخرى فى حفر قنوات جديدة ..

لذلك فالتركيز على القلب منذ البداية وحسن مراقبة اللَّه تعالى وصدق التوكل عليه والإخلاص له هو الأفضل والأكمل .. ألا ترى إلى قول رسول اللَّه ﷺ " ألا وإنَ فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله .. ألا وهى القلب " فالابتداء بحسن توجيه القلب خير من الابتداء بجهاد الأعمال .. والجمع بين الاثنين أتم وأكمل ..

لذلك يقول الصالحون إن من دلّك على الدنيا فقد غشّك .. ومن دّلك على العمل فقد أتعبك .. أما من دلك على اللَّه فقد صدقك ونصحك ..

والمقصود بالدلالة على اللَّه تعالى هو حُسن توجيه القلب إلى اللَّه وتصفيته من الأكدار و الأدران الحيوانية ، ومن داوم على قرع الباب يُفتح له الباب .

وأعظم ما يعينك على تنقية قلبك وصدق التوجه إلى اللَّه تعالى اختيار الصحبة المؤمنة الصالحة ومجالسة المؤمنين من عباد اللَّه وقد سبق القول بأن النفوس والأرواح تغذى بعضها بعضا إما بالخير وإما بالشر والرجل على دين خليله فانظر من تخالل كما يقول رسول اللَّه ﷺ.. لذلك قال رسول اللَّه " لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقىّ ". أى لا يدخل بيتك وتأتنس إلا بتقىّ .. فالأرواح المؤمنة .. والقلوب الذاكرة للَّه تعالى هى مهبط الملائكة ومحل الأنوار الإلاهية كما سبق القول فأنت بجلوسك معها مستفيد منها على كل حال .. إما بتعلم أو بدعوة صالحة من أصحابها أو بتأثير قلوبهم على قلبك .. واللَّه تعالى يقول عن يوم القيامة فى سورة الزخرف:﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ

لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾

وسوف يأتى بيان الصفات الذميمة التى يجب أن تهذبها فى النفس وكذلك الصفات الحميدة التى يجب أن تتخلق بها فى هذا الباب والباب الذى يليه بإذن اللّه.

وتنبه إلى أن النفس فى هذه المرحلة تختلط عليها المعانى والحقائق حتى فى منامها .. فلا تفرق بين الإلهام وأضغاث الأحلام .. وتميل إلى الجدل والانتصار للرأى ولا تعرف العدل فى الأمور فيصعب عليها اختيار أواسطها اللّهم إلا إذا راجع العبد نفسه بدقه وجعل ميزان الشرع نصب عينيه .. وأكثر من ذكر الموت وذكر اللّه تعالى .. ثم بتوفيق اللّه تعالى أولا وأخيرا ..

فإن تجاوزت هذه المرحلة .. وحبب اللّه إليك الإيمان وزينه فى قلبك وكرّه إليك الكفر والفسوق والعصيان فقد فزت بالخير العظيم ..

حينئذ يغلب عليك حب اللّه ورسوله والمؤمنين .. وتصبح الطاعات عادة لك محببة إلى نفسك .. ويضيق صدرك وتندم أشد الندم إن غلبتك معصية أو ضعفت أمام إغراء .. فتسارع بالاستغفار وإتباع السيئة بالحسنة.. ويصبح فعل الخيرات لك سجيَّة مع قليل من المجاهدة.. فتتغير عاداتك ويغلب عليك ميزان الشرع وتزهد فى مظاهر الدنيا إلا على قدر الضروة .. وتحس بأثر الذكر والعبادة فى قلبك .. وتزداد للعبادة حبا وللذكر استغراقا فى القلب وتتبدل رؤاك ومناماتك فتصبح ذات مغزى تارة تفهم وتارة لا تفهم إلا بمعونة غيرك .. وتتعلق بعوالم الملكوت وتشعر بانجذابك نحوه .. ويكون نومك قريبا من يقظتك .. وتصدق أغلب خواطرك .. ويبدأ اتجاه حكمك على الأمور إلى بواطنها

أكثر من ظاهرها فتتنبه إلى أفعال اللّه تعالى فى العباد والمخلوقات وتوقن أنها صور لا حول لها ولا قوة فيغلب على قلبك الحب والرحمة بالخلق وتميل نفسك إلى العفو عنهم والإحسان إليهم وذلك لمعرفتك بمدى ضعفهم الحقيقى .. ويلهمك اللّه الصواب فى أمور كانت مشتبهة عليك من قبل فتبتعد عنها وعن الريب والشك وذلك بميل طَبَعىٍّ تجده فى قلبك .. وتعاف نفسك الكثير من مظاهر الدنيا وشهواتها .. وتحس بتدبير اللّه تعالى لك وفى نفسك ولأمورك فتتعلم التسليم إليه والرضا بقضائه .. وتنبت فيك خصلة شكر اللّه تعالى .. وتزهد نفسك فى الدنيا وما فيها .. وأمور كثيرة يصعب حصرها حيث إنها تختلف من نفس إلى أخرى .. ولكن ما ذكرناه هو الإطار العام الذى يحيط بالنفس.

فاعلم حينئذ أن اللّه تعالى قد وفقك بفضله إلى أعلى درجة فى مرتبة النفس اللوامة وأن جهادك لنفسك بشرع اللّه تعالى قد أثمر الخير بإذنه وعونه جل وعلا..

صحيح أنها لم تتخلص تماما من الصفات الحيوانية ولكن ميزانها قد صار لصالح عالم الملكوت وانجذبت إليه ومال طبعها إلى الخيرات.. وبدأت تتطلع إلى الآخرة والأمور الروحية الغيبية فتنكشف لها مبادئ تلك العوالم وتجذبها إليها ويبدأ فيها نمو علم الباطن وازدهاره.

فمن أراد اللّه تعالى له الكرامة والعزة .. رفعه اللّه تعالى من هذا المقام إلى مرتبة النفس الملهمة .. وهى النفس العالمة بالخير والشر بغير علم مكتسب لها بل بعلم موهوب من اللّه تعالى وبنور فى باطنها فيكون ذلك لها ذوقا وحالا..

وتلك نفس تجافت عن الدنيا ولم تأخذ منها إلا الضرورات التى تقيم أودها وتستر عرضها .. وتتساوى عندها ملذات الدنيا بمصائبها.. فهى ليست ناظرة إليها أصلا .. قلبها شاكر .. ولسانها ذاكر .. وروحها تتفكر

فـي ملكـوت رب العـالمين .. تـرى اللَّـه تعـالى وصـفاته فيمـا تـرى مـن موجودات .. تُـفرد اللّـه تعـالى بالـوحدانيـة .. ورسـوله ﷺ بـالحب.. والمؤمنين بالإيثار .. صمتها دائم .. وعبراتها كثيرة بسبب وبدون سبب بكاؤها قريب وضحكها عزيز .. نومها كاليقظة .. ويقظتها تدبر وتفكير باطني .. فهي مع الناس وليست معهم كثيرة الذهول عما حولها لانشغالها بما هي فيه .. ليست لها فى الدنيا رغبة ولا شهوة إلا ما يساعدها على طاعة اللَّه ، متمثلة فى كل شئونها بقوله ﷺ " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر اللَّه وما والاه وعالما متعلما " أى ما يجر إليه ويحبب فيه ويساعد عليه.، يهديها اللَّه تعالى بنوره لنوره .. ويضرب لها الأمثال فى اليقظة والنوم ، كثيرة الرؤى فى منامها لأرواح الصالحين والأموات.. تتعلم منهم وتتأثر بهم ، ليس لها لنفسها من نفسها حظ .. يتساوى عندها المدح والذم.. فهي مشغولة بما هو أهم .. آخرتها نصب عينيها .. وموتها قريب منها وآخرتها فى نشر .. ودنياها على العموم فى طي وانكماش، يفيض اللَّه عليها بمعانٍ جديدة فى القلب ... ويعلمها ويشرح صدرها لأنوار الذكر ، محبة لتلاوة القرآن والاستماع إليه متذوقة لحلاوة اليقين والإيمان ، خواطرها الظلمانية قليلة وضعيفة لا تتمكن منها ، ينطبق عليها قوله تعالى فى سورة الأعراف :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

فالشيطان لا يقربها إلا مساً خفيفا غير متمكن منها ..، بصرها منقدح فى بصيرتها.. تظهر لها أنوار الحقيقة فى الأمور الشرعية.. والحقائق الشرعية فى الأمور الباطنية فتعلم أن اللَّه تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن .. فالغائب عندها حاضر .. والحاضر عندها غائب.. يغلب عليها الحب .. ورقة القلب .. لها نصيب كبير من الذكر وقيام الليل.. وليست لهامع الناس راحة .. قليلة الطعام قليلة المنام قليلة

الكلام..

فالنفس فى هذه الدرجة هى فى أول درجات الأبرار.. وهذا أول منزل من منازل الذكر بالروح .. وليس بالقلب ولا باللسان..

وقد سبق القول بأن عالم الغيب لا يوصف بلسان وكلام لاختلاف مقاييسه عن عالم الإدراك والحس المادى .. فأسرار هذه النفس لا توصف بلسان .. فنمسكُ عن الكلام فى هذه الأسرار .. فإن من يصل إلى هذه المرتبة ليس فى حاجة إلى علم يقرأه منقول هالك عن هالك.. فإن علمه باللَّه تعالى مالك الملك والممالك .. ومن لم يصل إليها لا تنفعه القراءة عنها . وإن قرأ فلن يفهم المقصود من الكلام لاختلاف المقصود منه عن المعنى العام .. وإلا فقل لى بربك ماذا فهمت من قولى إن النفس فى هذه المرحلة حاضرها غائب وغائبها حاضر!!!

إنما أردنا أن نقرب لك المعانى قدر الاستطاعة . واللَّه تعالى هو المصور وهو الذى يصور المعانى أيضا فى الأفهام .. فافهم وتصور !!!

وإذا كانت هذه هى درجة الأبرار أو هى أدنى درجات المقربين.. وأقل درجة من درجات الذكر بالروح فكيف باللَّه تكون الدرجات العالية للنفوس المطمئنة والراضية والمرضية والكاملة.

وإذا كنا نتساءل عن كيفية الذكر باللسان وسريان المعنى على القلب .. وعن كيفية الذكر بالقلب مع اللسان أو بدونه .. فأنىّ نحن من الذكر بالروح .. وبعالم السر وسر السر وغيرها.

ولعلك الآن قد عرفت فضل صحابة رسول اللَّه ﷺ الذين كانوا بلا شك من أقرب المقربين إلى اللَّه تعالى .. وهم الأبرار .. وهم أصحاب اليمين.. وكم حملت أرواحهم من أنوار وأسرار وهم بين يدىّ رسول اللَّه حتى كان الصحابى يقول لأخيه قبيل الحرب. إنّى لأجد طعم

الجنة وأشم ريحها . وكانت الملائكة تسلّم على سيدنا عمران بن حصين وكانت تنير الطريق فى الليل أمام سيدنا أسيد بن حضير ويقول سيدنا حذيفة بن اليمان لرسول اللّه : كأنى أرى عرش الرحمن بارزاً .. فلا يكذبه رسول اللّه بل يقول له عرفت فالزم ..

ولعلك أيضا قد أدركت إلى أى مدى قد وصلت إليه حياتنا الروحية.. وتعلقنا بالدنيا وأوهامها .. وكم ابتعدنا عن اللّه تعالى وأنواره وأحكامه وصارت أحكامنا مستمدة مما درج عليه الناس بجهلهم وبعدهم عن اللّه تعالى .. وصارت قدوتنا لرجالنا ونسائنا من يسمونهم بنجوم الفن ووجوه المجتمع.. أى فن باللّه عليك .. وأى مجتمع !!!.

مَر رسول اللّه ﷺ بجيفة منتفخة قد تنتن ريحها.. فقال لأصحابه أيكم يحب أن تكون له هذه بدرهم !! فعجبوا وقالوا ليس منا يارسول اللّه من يود أن تكون له هذه الجيفة لا بدرهم ولا بغير درهم.. فقالﷺ إن الدنيا لأهون عند اللّه منها !!!.

وفى الحديث الصحيح كما رواه أحمد والطبرانى يقول ﷺ "إن اللّه تعالى جعل ما يخرج من إبن آدم مثلا للدنيا "

لم يكن هناك أيام الصحابة مجار لمخلفات الناس تتجمع فيها الأقذار كما هو اليوم .. فإن أردت أن تعرفَ قدر الدنيا وقيمتها وما يتعارك الناس عليه وما يبيعون آخرتهم لأجله فانظر – أكرمك اللّه– إلى هذه المجارى .. أليست هذه هى شهوة البطن والفرج .. نهايتها كلها المجارى وعفن القبور !!. وانظر إلى نفسك على طعام وتدبر هل تحس بحلاوته وشهوتك إليه بعد أن يتجاوز حلقك!! فإن تجاوز حلقك إلى بطنك تساوى الحلو مع المر .. والخبز واللحم .. وقنعت نفسك بما ملأ بطنك.. فهذا هو نعيم الدنيا ومقدار زمن تنعمك به.. لا يزيد عن مروره فى حلقك !!.

دخل أحد الصالحين على هارون الرشيد رحمة اللَّه عليه.. وكان الرشيد رجلا تقيا باراً مجاهداً يحج عاما ويجاهد فى سبيل اللَّه عاما وليس كما يصوره المغرضون رجل شهوات ونساء وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل فيهم. فقال الرشيد للرجل عظنى .. فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ما أنت بفاعل إذا حُبِس عنك الماء فى يوم شديد الحر. قال الرشيد أشترى الماء بنصف ملكى .. قال الرجل الصالح وماذا أنت بفاعل إن حُبِسَ فيك الماء !! قال الرشيد أبذل فيها نصف ملكى الآخر. فقال الرجل : أى ملك هذا الذى تبيعه بشربة ماء . فبكى الرشيد حتى ابتلت لحيته .. ولما رجاه الرشيد أن يزوره بين آونة وأخرى قال له الرجل إن عندك فى كتاب اللَّه وشريعته ما يغنيك عن زيارتى .. وإن عندى من انشغالى بآخرتى ما يغنينى عن زيارتك فلا تشغل نفسك ولا تشغلنى بما لا يفيد ...

وصدق رسول اللَّه ﷺ " إن الدنيا لو كانت تساوى عند اللَّه جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء" .. ولكن اللَّه تعالى قد استخلفكم فيها لينظر كيف تعملون والإنسان ظلوم جهول .. ظلوم لنفسه فيوردها موارد التهلكة فى الآخرة بشهوات الدنيا الفانية جهول بفضل ربه ونعمه عليه .. وإن أظلم الظالمين من ظلم نفسه ... وطوبى لمن أعتق نفسه من النار .. وهذبها وأصلحها مستعينا باللَّه ..

وقد علمنا شرع اللَّه تعالى أن النفس بطبيعتها تتعامل مع جهات ثلاث هى قنوات معاملاتها .. مع اللَّه تعالى .. ومع خلق اللَّه .. ومع نفسها ... فيجب أن يُهذب خلقها فى كل هذه المعاملات.

فصفاتها مع اللَّه تعالى مثل الصدق والكذب والإخلاص والرياء والرضا والجزع ..

وصفاتها مع خلق اللَّه مثل الحب فى اللَّه والنصح للمسلمين

والتعاون على البر والتقوى وما هو ضدها من الصفات الذميمة ..

وصفاتها مع نفسها مثل الكبر والعجب والغضب وحب الجاه وما هو ضدها من الصفات الحميدة ..

ونوجز لك تعريفا مبسطا موجزا لأخطر الصفات الذميمة والصفات الحميدة فى النفس.



* الصفات الذميمة في النفس :

## ١- التبذير والإسراف :

**وهو تجاوز حد الاعتدال بلا ضرورة .. والتبذير يكون في المال والإسراف في الأعمال .. يقول تعالى في سورة الإسراء: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ ،**

**ويقول في الأعراف-٣١:﴿ ... وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ فالإسراف غير محمود حتى في الأمور الحلال .. فكيف يكون في الأمور المحرّمة !!. واعلم أنك لو أنفقت مائة ألف درهم في مكانها الصحيح الشرعي فأنت لست مبذرا ، ولكنك لو أنفقت درهما واحدا في غير مكانه أو دون ضرورة فإنك تحاسب عليه . ، فالمقصود أن تضع كل أمر في مكانه الصحيح ..**

**والإسراف في شهوات الدنيا الحلال كالطعام والشراب والملبس وشهوة الفرج يصيب النفس بالإظلام والابتعاد عن الشفافية .. ويجعلها عبدا لشهواتها .. يقول ﷺ"ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه .. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه .. فإن كان ولابد فاعلا .. فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه .. " فيحدد ﷺحد الاعتدال في الطعام بأنه لقيمات على قدر الضرورة فإن زادت فلا تتعدى ثلث البطن امتلاءً.. كما يقول ﷺ إن الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم في العروق فلنضيق عليه بالجوع.**

**والتربية الإسلامية كلها قائمة على حد الاعتدال في تناول الشهوات الحلال .. وذلك حتى لا تكون النفس أسيرة لشهواتها .. ومن**

أسرف فى الأكل والشهوات .. أسرف فى النوم .. ومن أسرف فى النوم يفوته حظ كبر من العبادة والذكر ..

## ٢- الغضب :

وهو فوران الدم فى القلب وشدة اندفاعه إلى الرأس وأعضاء الجسد والمقصود به الغضب لحظ من حظوظ نفسك .. أما الغضب للّه تعالى فهو محمود.

والغضب قوة فى النفس يزكيها الشيطان حتى يخرج المرء عن وعيه.. يقول ﷺ " ليس الشديد هو الشديد بالصرعة .. ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ".. فالغضب قد يكون مدعاة لأن يفقد الإنسان رشده فيأتى بتصرف قد يندم عليه فيما بعد .. وغضبت السيدة عائشة رضى اللّه تعالىعنها مرة فقال لها رسول اللّه ﷺ " جاء شيطانك.." فقالت وأنت مالك شيطان يا رسول اللّه .. فقال بلى ولكن اللّه أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير.

ومن السنة أن المرء إذا غضب وكان واقفا أن يجلس .. وإن كان جالساً يضطجع وأن يتوضأ أو يغتسل حسبما يتيسر له وأن يستعيذ اللّه تعالى لإطفاء نار الغضب .. ويمدح اللّه تعالى الكاظمين غيظهم بقوله فى سورة آل عمران:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

وتدل الآية على درجات ثلاث .. الأولى كظم الغيظ فى النفس..

والثانية العفو عمن أساء إليك ... والثالثة وهى أعلاها الإحسان إلى من أساء إليك ..

ويحكى أن عبدا كان يصب الماء من إبريق لوضوء سيده جعفر الصادق بن على زين العابدين بن الحسين بن على عليهم رضوان اللّه تعالى.. فسقط الإبريق من العبد فانكسرت أنف سيدنا جعفر وسالت دماؤه على وجهه .. فارتعد العبد ولم يجد ما يقوله غير "والكاظمين الغيظ" فقال سيدنا جعفر كظمت غيظى فقال العبد "والعافين عن الناس" فقال عفوت عنك .. فقال العبد "واللّه يحب المحسنين" فقال سيدنا جعفر اذهب فأنت حر ويقول ﷺ "ما ازداد عبدٌ بعفوٍ إلا عزّا " ؟

فالغضب وشدته من الصفات المذمومة فى النفس.وعاقبته غير محمودة عادة.

## ٣- الكبر :

هو توهّم العظمة فى النفس والاستعلاء على خلق اللّه تعالى .. وهو من أرذل الصفات . فاللّه تعالى هو المتكبر ويقول فى الحديث القدسى " الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار " ويقول تعالى (غافر-٣٥): ﴿... كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ ، ويقول فى السورة نفسها (الآية-٥٦): ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ ...﴾

فهذه العظمة المتوهمة فى النفس هى نتيجة لجهلها وعدم تبصرها فى ملكوت السموات والأرض .. وأين ابن آدم وأوله نطفة قذرة . وآخره جيفة قذرة .. وهو بين ذلك يحمل العذرة .. فعلام يتكبر.

يقول سيدنا أبو بكر الصديق وهو على فراش الموت " كفنونى فى ثيابى هذه وليس فى جديد !! " فقالوا يا خليفة رسول اللّه أنكفنك فى ثياب قديمة .. فقال رضى اللّه عنه : إن هو إلا للمرملاء .. (أى للصديد والقيح) وهذا هو أبو بكر الصديق صاحب رسول اللّه ﷺ !!.

وكان عمر بن الخطاب يحمل السويق والسمن على رأسه للنساء والصبيان والمحتاجين ويهيئ لهم الطعام وينفخ فى النار فتسيل دموعه على لحيته .. ولقد كان أسوتهم فى هذا هو رسول اللّه ﷺ الذى كان يأكل مع العبد فى إناء واحد .. ولا يأكل متكئا ويقول إنما أنا عبد.. أجلس مثلما يجلس العبد وآكل مثلما يأكل العبد ..

فالكبر من أوسع أبواب الشر إلى النفس ومنه ينبع الإلحاد والجحوم والجدل والخصام حتى يورث الكفر والعياذ باللّه..

## ٤- العُجب :

وهو إعجاب المرء بنفسه وسببه الكبر فى النفس بتوهم كمال من علم أو صفة أو عمل . سواء بصفاته أو بافعاله وهو قريب من الكبر..

والمؤمن لا يعجب بنفسه أبدا .. بل هو دائما يراها مقصرة .. متهمة .. وأنها أقل عباد اللّه طاعة وعبادة وذكرا للّه. ولا يرى لنفسه من أعمال الخير شيئا بل يرى الفضل كله من اللّه فهو الهادى للحسنات والموفق لها .. يقول تعالى فى سورة الحجرات : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾، فالمنة والفضل للّه تعالى فأى عُجْبٍ يكون للنفس.. لذلك يقول ﷺ"ثلاثة مهلكات .. هوى متبع .. وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه "

## ٥- الرياء :

وهو أن يطلب بقلبه رؤية الناس لأعماله.

ومنه ظاهر يدعوه إلى زيادة العبادة ليراه الناس ومنه باطن وهو حب رؤية الناس لعمله ليقال عالم أو كريم مثلا ، والرياء يحبط العمل ويضيع ثوابه ، يقول اللّه تعالى فى الحديث القدسى " أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا يقصد به وجه اللّه والناس فهو للناس من دون اللّه" ويروى الطبرانى عن سيدنا معاذ قول رسول اللّه ﷺ "أدنى الرياء الشرك "

وقياس الرياء يكون بازدياد طاعة المرء أمام الناس بخلاف بعده عنهم.. وكذلك فرحه بالمدح والثناء عليه فيزيده ذلك عملا ومظهرا صالحا.

## ٦- النفاق :

وهو إظهار خلاف ما يبطن فيظهر الصلاح أمام الناس ويتقن العبادة أمامهم.. فإذا كان بعيدا عنهم فلا صلاح ولا عبادة ، أو يظهر الإيمان ويبطن الكفر .. ، والنفاق اشد من الكفر عند اللّه ، لأن الكافر ظاهره كباطنه يستطيع المسلمون أن يتقوه ويحترسوا منه ، أما المنافق فضرره أكبر لأن فيه الخداع والغش والمكر يقول ﷺ " أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصا .. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب .. وإذا عاهد غدر .. وإذا ائتمن خان .. وإذا خاصم فجر " ..

وباختصار النفاق هو إظهار خلاف ما فى الباطن ..

## ٧- الغدر :

وهو نقض العهد وعدم الوفاء بما ألزم به نفسه أمام اللَّه أو الناس.. يقول تعالى (الإسراء-٣٤):﴿ ...وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤ ﴾ ويقول ﷺ عن آيات المنافق إن منها إذا عاهد غدر .. فلا عهد له ولا ذمة .. وهو شعبة من شعب النفاق.

ولاحظ أن أول عهد أُخذ عليك كان من رب العالمين فى عالم الأرواح كما سبق ذكره ، وقال اللَّـه للأرواح ألست بربكم قالوا بلى لذلك فالكافر قد نقض العهد وغدر ، والمؤمن الفاسق يكون غدره على قدر فسقه فافهم ..

## ٨- الخداع :

وهو أن يضمر فى نفسه غير ما يقول .. وهو قريب من الغدر.. يقول تعالى فى سورة البقرة :﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾والمخادع صاحب تمويه وتورية وكذب .

## ٩ - الكذب :

وأدناه قول غير الحقيقة .. وهو كذب الأقوال.. وأعلاه النفاق وهو كذب القلب أو كذب الأفعال .. يقول ﷺ " إياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند اللَّـه كذابا.. " فانظر كيف يؤدى

**الكذب إلى الفجور ثم إلى النار.. ويقول تعالى فى سورة التوبة:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾، **ويقول فى سورة البقرة – ١٧٧ :** ﴿ ... أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾، **ويقول فى سورة الأحزاب– ٢٣ :** ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ ، **فالصدق يجب أن يكون فى الأقوال والأفعال كذلك وهو أن يكون باطنها كظاهرها.**

**والكذب ضده فى الأقوال والأفعال والكذب هو تغيير الحقيقة بأى أسلوب.. وبأية نسبة من التغيير .. فالكذب هو الكذب بأى مقياس.. فحتى الطُرْفَة (النكتة) تُعدُّ كما يقولون من الكذب .. أما رسول اللّهﷺ.. فقد كان يمزح ولكن لا يقول إلا حقا ..**

**ولم يصرح الرسول بالكذب إلا فى ثلاثة مواضع .. فى حديث الرجل امرأته .. جبرا لخاطرها وإبقاءً على ذات البين..وليس لسبب آخر. وهذا أمر دقيق فليس كل كذب بين المرء وزوجه مباحاً .. وهذا أمر يطول شرحه.. ، وفى الحرب ، والكذب على الأعداء لأنه فى سبيل اللّه ونصرة دينه فالنية فيه إلى اللّه تعالى..، وفى حالة الإصلاح بين الناس فلا مانع أن يُنَمِّى المصلُح خيراً إلى هذا وإلى ذاك قاصدا تقريب المتخاصمين للّه تعالى..**

**ورغم هذا فإن الأفضل للمسلم ألا يلجأ إلى الكذب وله فى التعريض منجاة عنه .. ، والتعريض هو أن تعرّض بالمعنى المراد دون ذكره صراحة .. فإن جاء من يسال عنك فى المنزل مثلا وأنت لا تسمح ظروفك بمقابلته لضيق المنزل أو لأى سبب فالأفضل أن يقال للطارق**

"قابله فى المسجد"

مثلا.. ولا يقال له إنك غير موجود فيكون القائل حينئذ قد عرَض بالمعنى المراد وهو أنك لا تريد مقابلته فى المنزل دون أن يعلن هذا.. ولم يكذب فيقول إنك غيرموجود فى المنزل..

## ١٠- الغرور:

وهو من أكبر أبواب السوء فى النفس .. وهو توهم قيمة أعلى من الحقيقة أو توهم الشئ على غير حقيقته وهو قريب من العُجب .. وهو السبيل إلى التكبر .. وقد سمى اللَّه الشيطان بالغَرور لأنه توهم فى نفسه قيمة أعلى من سيدنا آدم عليه السلام وكذلك أنه يغّر الناس بالدنيا ويزينها لهم كذبا وبهتانا حتى يضلهم ..، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغُرور . لأنها زينة باطلة .. وشهوة بائدة كالسراب ..

## ١١- الحسد:

وهو تمنى زوال نعمة الغير .. والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار فى الحطب .. ويعلمنا القرآن الكريم كيفية الاستعاذة من شر حاسد إذا حسد .. وأساس الحسد هو الحقد ، والحقد هو إخفاء العداوة فى القلب لعدم القدرة على الانتقام .. وكذلك أساسه البغض والكراهية.. فإن من يحب شخصا يتمنى له الخير .. أما من يبغضه فيتمنى زوال نعمته.. وهو مرض فى النفس خبيث .. وأساسه الاعتراض على توزيع اللَّه تعالى لنعمه ورزق عباده .. فهو عدم الرضا بالقضاء أصلا مع عدم حب الناس .. وهو لا يغير من قضاء اللَّه شيئا إلا بإذن اللَّه ولا يجرّ إلا التعب والهمّ والنكد على صاحبه قبل المحسود.

## ١٢- الشح والبخل:

وهما ضد الإسراف والتبذير .. فالشح هو بخل النفس بأوجه الخير عموما .. فلا يسعى فى قضاء مصلحة لمسلم .. ولا يبذل جهدا فى عبادة.. أما البخل فهو إمساك المال حتى عن الضرورات وما يجلب له الفوائد.. يقول تعالى (النساء-١٢٨) : ﴿ ... وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ... ﴾ ويقول فى سورة الحشر-٩ :﴿ ... وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ويقول: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ... ﴾ (محمد-٣٨) ويقول فى سورة الأحزاب-١٩: ﴿ ... أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ﴾

فالشح كما قلنا هو شح النفس عن الخيرات .. والبخل هو البخل بالمال وسبب الشح والبخل هو عدم الثقة بالله تعالى .. فالنفس بطبيعتها الحيوانية جزعة منوعة يقول تعالى فى سورة المعارج:﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

وليس من البخل أو الشح أن تحافظ على نعم الله تعالى وإن قَلَّت وصَغُرَت .. فقد كان ﷺ يُجلّ النعمة وإن دَقَّتْ.

والمقصود من عدم الشح وعدم التبذير هو أن تضع كل نعمة فى مكانها الصحيح فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده كما قال ﷺ وألا تأخذ من النعم إلا على قدر كفايتك ، وخير الأمور الوسط، ألا ترى

إلى قوله تعالى فى سورة البقرة-١٩٥:﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ اى لا تبخلوا فى الإنفاق فى سبيل اللَّه فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة فى الآخرة بالشح والتقتير ..

## ١٣- الغيبة :

وهى ذكر أخيك بما يكرهه من صفات هى فيه..

يقول ﷺالغيبة هى ذكرك أخاك بما يكره .. قيل يا رسول اللَّه أرأيت إن كان فيه ما أقول. قال ﷺإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ .. أى قد افتريت عليه بهتانا وزورا وهذا إثم أشد من الغيبة .. وهذه الصفة من أشد صفات النفس سوءا ..

يقول تعالى(الحجرات-١٢):﴿ ... وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ... ﴾.. فالغائب كالميت لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولا أن يأخذ حقه منك وأنت تأكل لحمه لأنك تنتقص من قدره بوصفه بما يكره فتكشف عنه ستر اللَّه تعالى وعن ما فيه من عيوب .. وقد رأى سيدنا عثمان بن عفان رضى اللَّه عنه أثر أكل لحم الميت على فم من يغتاب الناس،.. وقد دخل رسول اللَّه ﷺعلى امرأتين وأمر بطست وقال لهما " قيئا " فقائتا دما وقيحا ولحما خبيصا .. فقالﷺ.. جلست إحداهما إلى الأخرى تغتاب الناس.

فأنت مطالب أيها المسلم بأن تتقى اللَّه فى إخوانك فلا تتحدث عنهم بما يؤذيهم أو بما يكرهون.

واعلم أن الغيبة نوعان .. وكلاهم إثم .. الغيبة الصريحة وهى ما ذكرنا .. والغيبة المكّناة .. وهى الا تقول قولا صريحا ولكنك تُوحى بالمعنى السيئ المقصود . كأن يسألك سائل عن شخص ما فتقول له "إنه بخير .. سامحه اللَّه .. أستغفر اللَّه العظيم مالنا ومال الناس" .. فأنت لم تقل شيئا سيئا صريحا .. ولكنك قد أوحيت لسامعك بأن ثمة شيئا سيئا فيمن يسأل عنه .. واللَّه تعالى ينظر إلى قلوبكم والأعمال بالنيات ..

أما البهتان والعياذ باللَّه فهو ادعاؤك على امرئ بما ليس فيه.. ومتروك لك تقدير وزر الزور والبهتان على الذى تفتريه عليه والإثم من وراء ذلك، فإذا كان جزاء الغيبة عند اللَّه تعالى هو أن يأخذ من اغتبته من حسناتك إلى حسناته حتى تنتهى ثم تأخذ أنت من سيئاته إلى سيئاتك .. فماذا يكون جزاء البهتان والافتراء عليه!!!.

## ١٤- النميمة :

وهى نقل كلام يُكره نقله من شخص إلى شخص .. كرهه من نقل عنه أو من نقل إليه أو مستمع لهما .. ويدخل فيها كشف السر لمن ائتمنك عليه .. أو من علمت عنه سرا يكره هو أن يطلع عليه أحداً.. فهى كل كلام منقول لهتك ستر أو انتقاص قدر أو لإشعال فتنة.

يقول اللَّه تعالى فى سورة القلم :﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ ، وقيل أن كل نمام هو ولد زنا استشهاداً بالآية السابقة لأن الزنيم هو ولد الزنا .. ويقول ﷺ "لا يدخل الجنة نمّام " وقال رسول اللَّه " ألا أنبئتكم بشراركم. قالوا بلى يا رسول اللَّه .. قال المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة.، الباغون للبرئ من العيب " ،

فنقل الحديث من شخص إلى شخص مرفوض أساساً إلا بحقه الشرعى وقصد وجه اللَّه تعالى فيه وبشروط شرعية .. ومطلق ناقل الحديث فاسق.. يقول تعالى (الحجرات-٦) : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴾.

فإذا كان الحديث المنقول فيه زيادة ونقص وتغيير كلام قد يؤدى إلى تغيير المعنى .. فقد اضيف على النميمة بهتان وزور .. فإن أدى هذا الحديث إلى قطع رحم أو تفريق أحبة فى اللَّه أو أمر سوء آخر.. فقد تَحَمَّل الناقل كل هذه الأوزار ولا حول ولا قوة إلا باللَّه..

وصدق رسول اللَّه ﷺإذ يقول لسيدنا معاذ " ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم. أو على مناخرهم فى النار إلا حصائد السنتهم" !!

وكان رسول اللَّه ﷺ يأبى أن يستمع لأصحابه على أصحابه وكان يقول لهم دعونى وأصحابى .. فإنى أحب أن أخرج إليهم نقى الصدر أو كما قال ﷺ .. والكلام فى النميمة طويل لأن الناس اصبحوا يسّمون المنكرات بغير أسمائها فيسعون بالنميمة بين الناس ويفسدون بينهم بدعاوٍ باطلة أو جهلٍ مؤذٍ .. واللَّه حسبهم ..

## ١٥- حب الجاه والرئاسة :

وهو داء وّبيلٌ فى النفس .. وخطورته أنه قد يكون خفياً ولا يتنبه إليه المرء .. فيتغلف بمسميات أخرى .. وقد يظن المسلم أنه يدعو الناس إلى الخير وعلى صلاح أحوالهم .. بينما يكمن فى نفسه حب الجاه والرئاسة عليهم .. لذلك قيل إن آخر صفة ذميمة تخرج من نفوس الصالحين هى حب الجاه والرئاسة ..

وأساسه وأصله بعض الكبر والغرور فى النفس وإعجاب المرء بنفسه لذلك فهو يظن أنه أولى بالرئاسة والريادة وطاعة الناس له .. وهذا قاطع كبير عند اللّه تعالى ، ودواؤه محاسبة النفس على الدوام ومعرفة عيوبها، وإحسان الظن بالناس والإقبال على اللّه وعدم الالتفات إلى غيره..، يقول تعالى فى سورة المائدة-٥٤:﴿ ... فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾، فخفض الجناح للمؤمنين وعدم الترفع عليهم من صفات المؤمنين .. وليس طلب الجاه وحب الرئاسة عليهم ..

## ١٦- الجدل والمكابرة :

والجدل هو الدفاع بالباطل والانتصار للنفس أو الراى..، والمكابرة هى معرفة الحق ثم الحيود عنه كبرا وعنادا. يقول تعالى (الكهف-٥٤):﴿ ... وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

ويقول فى سورة الأنفال:﴿ يُجَـٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

والمؤمن ناظر على الحق .. يبحث عن الصواب . فإن أخطأ اعترف واستغفر ولا يجادل ولا يكابر.

يقول ﷺ " أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقا . ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً "

## ١٧- الظلم :

**وهو عدم منح كل ذى حق حقه ..**

**فاللّه تعالى قد شرع لكل شئ حقاً فلربك عليك حق .. ولأهلك عليك حق .. ولنفسك عليك حق .. فالظلم هو ألا يأخذ كل صاحب حق حقه يقول تعالى (الأنعام-٨٢):** ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ **، ويقول عن يوم القيامة:** ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ...﴾ **(الفرقان-٢٧) ، ويقول:** ﴿ ... وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ **(النحل-١١٨)وظلم النفس هو حرمانها من نور الهداية والطاعة فيدخلها ذلك النار.**

## ١٨- الاستهانة بحرمات اللّه وشعائره:

**وهذا خطر كبير يدل على نفاق فى القلب ورياء فى النفس.. والمقصود هو عدم احترام حرمات اللّه وشعائر دينه والوقوف عندها.**

**يقول تعالى فى سورة الحج:** ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ **ويقول (الحج-٣٠):** ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ... ﴾ **فالمؤمن عليه أن يعظم هذه الشعائر .. ألا ترى على أن المفطر فى رمضان لمرض أو سفر أو أى عذر شرعى يجب عليه عدم الإعلان بإفطاره احتراما لشهر رمضان المعظم.**

* * *

هذه جملة صفات حذرنا اللّه ورسوله منها . وهى كما ترى منشؤها وأصلها حب الدنيا والاغترار بها .. وتغيير هذه الصفات صعب كل الصعوبة إذا حاولت أن تقتلعها ..لأن أصلها ثابت فى نفسك وهو حب الدنيا. فالحصيف من يعالج الداء من أصله فيقتلع حب الدنيا من قلبه أولا ويتجافى عن الغرور ويتجه على اللّه قاصدا وجهه فحينئذ يهون عليه اقتلاع هذه الصفات خاصة وإن بعضها مركب على البعض الآخر .. فالغرور مثلا يورث الكبر .. والكبر يورث حب الجاه وحب الجاه يورث الجدل والجدل يورث الكذب .. وهكذا ..

ونمثل كل الأمر بشجرة خبيثة .. فروعها هى هذه الصفات .. فكلما اقتلعت منها فرعا . نبت فيها غيره . فأنت فى جهاد مستمر باقتلاع الأغصان واحدا بعد واحد . لأن جذر الشجرة يغذيها فينبت غيره .. أما إذا انشغلت بقطع الشجرة من أساسها وجذورها فقد أرحت نفسك مرة واحدة .. واللّه هو المستعان وبه تتم الصالحات ولا توفيق إلا به سبحانه .. بقى أن نوجز لك أهم الصفات الحميدة التى أمرنا اللّه ورسوله بالاتصاف بها .. وهى أضداد الصفات الذميمة التى ذكرت من قبل ثم نزيد عليها صفات خاصة بنفوس المؤمنين ..

وأهم هذه الصفات ما يلى:-

## • الصفات الحميدة للنفس:

### ١ – الكرم :

**وهو سماحة الأخلاق وبذل المال للمحتاج وبذل النفس للخير والطاعات .. وهو الدرجة الوسطى المحمودة بين الإسراف والشح.. واللّه تعالى هو الكريم ويحب الكريم من عباده.**

**والكرم درجات .. فأدناه أن تعطى من سألك ما زاد عن نفقتك .. يقول تعالى فى سورة البقرة-٢١٩:** ﴿... وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ....﴾**.. أى ما عفوت عنه بعد سد حاجتك .**

**وأوسط الكرم أن تعطى المحتاج مما أنت محتاج إليه فعلا .. يقول تعالى فى سورة آل عمران-٩٢:**﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ **ويقول فى سورة الحشر-٩ :** ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ....﴾ **(والخصاصة هى شدة الاحتياج) فأنت فى هذه الرتبة تعطى المحتاج وأنت محتاج .. وتضيق على نفسك وتتنازل عن جزء من التوسعة على عيالك فى سبيل إكرام المحتاج والمعوز .. ،**

**وأعلى مرتبة فى الكرم هى أن يكون كل مالك للّه تعالى .. فلا تنفق منه إلا فى سبيل اللّه قاصدا وجه اللّه تعالى تاركا لفضول الحلال، فإن أكلت أكلت ما يكفيك وليس ما تشتهيه نفسك ، وإن لبست لبست ما يسترك أمام الناس تحدثا بنعمة اللّه ، لا ما تتباهى به على عباد اللّه، وهكذا فى كل أحوالك ، يقول تعالى فى سورة القصص-٧٧:**﴿ وَٱبْتَغِ

فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ... ﴾

**فكل ما آتاك اللَّه اجعله فى سبيل اللَّه .. ولا تنس نصيبك من الدنيا أى من فعل الصالحات التى تنفعك فى الآخرة لأن الدنيا مزرعة للآخرة ونصيبك منها هو ما قدمته للآخرة .. وأحسن كما أحسن اللَّه إليك من كل نعمة أحْسنْ منها ومن جنسها المال .. والعلم .. والصحة للَّه تعالى .. ولا تبغ الفساد فى الأرض بأن تخسر الميزان .. ميزان الاعتدال والشرع.**

**يقول تعالى فى سورة النحل-٩٦:**﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ...﴾ **ويقول ﷺ " الصدقة تُطْفِئ غضب الربِّ كما يطفئ الماء النار.. وصلة الرحم تزيد فى العمر " وما أكثر الآيات والأحاديث الداعية إلى الإنفاق فى سبيل اللَّه ..**

**ويكفى قول رسوله ﷺفيما رواه الترمذى عن أبى هريرة "أن السخىّ قريب من اللَّه قريب من الناسقريب من الجنة ".**

**وكل مسلم عليه أن يأخذ من هذه الدرجات ما يناسبه .. فلا يسرف ولا يقتر .. فقد كان أبو بكر الصديق رضى اللَّه عنه يقدم كل ماله للَّه ولرسول اللَّه فيقبله منه، وكان عمر بن الخطاب يقدم نصف ماله فيقبله منه ، بينما لم يقبل رسول اللَّه من بعض صحابته إلا ثلث ماله فقط ، فكلٌ يعمل على شاكلته.. فانظر أنت أين درجة إيمانك من درجات الإنفاق .. ثم بعد ذلك أنت محاسب عليها..**

**ولا يخفى ما فى الكرم من تفريج هم المحتاجين . وستر عورات المسلمين .. والرسول ﷺ يقول " من فرج عن مؤمن كربة من كُرَبِ الدنيا فرج اللَّه عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره اللَّه**

فى الدنيا والآخرة " واعلم أنه مكتوب على باب الجنة أن الحسنة بعشر والقرض بثمانية عشرة . ذلك لأن السائل قد يسأل ومعه بعض ما يكفيه، أما المقترض فلا يسأل إلا إذا كان احتياجه شديداً..

أما الكرم فى النفس فهو سماحتها ، والإحسان والعفو والتجاوز عن الذنب والتغاضى عن العيب.

## ٢ – الحلم والعفو :

وهما من سماحة النفس وكرمها .. وكذلك هما ضد الغضب .. أما الحلم فهو الصبر على الأذى وطول الأناة وضبط النفس عند الغضب، وأما العفو فهو التجاوز عن الإساءة والصفح الجميل، وهما لا يكونان إلا مع مقدرتك على من أغضبك أو أساء إليك، واللّه تعالى هو الحليم العفوّ.. فلا يعجل لعباده العقوبة عسى أن يتوبوا.. فإن تابوا عفا عنهم وبدل سيئاتهم حسنات فضلا منه وكرما، ويقول تعالى : ﴿ ... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ....﴾ (الشورى –٤٠) ويقول فى سورة النور– ٢٢:﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ... ﴾

ومن مأثور دعاء رسول اللّه ﷺ : اللّهم إنك عفوّ كريم تحب العفو فاعف عنا.. ، وكان يعلمها للسيدة عائشة رضى اللّه عنها عندما سألته بماذا تدعو فى ليلة القدر ..، ويقول ﷺ "ما ازداد عبد بعفوٍ إلا عِزاً ".

ومن تجاوز عن سيئات الناس فى الدنيا تجاوز اللّه عن سيئاته يوم القيامة.

## ٣ – الإخلاص :

وهو صدق توجه النية إلى اللّه تعالى مع حسن إتقان العمل،

**فيكون المؤمن علانيته كسره وسره كعلانيته ، لا ينافق ولا يكذب ولا يرائى...،**

**يقول تعالى فى الحديث القدسى " الإخلاص سر من أسرارى أودعته قلب من أحببت من عبادى".**

**وهو الباب الأكبر والأعظم للخيرات كلها حتى وإن قلّ العمل...، وهو ثمرة اليقين باللّه تعالى .. ، وهو ميزان الأعمال يوم القيامة فعلى قدر الإخلاص يكون الثواب بإذن اللّه.**

**يقول تعالى فى سورة النساء-١٤٦:**﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ... ﴾
**ويقول فى سورة الزمر-٣:**﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ... ﴾

**ولا يكون الإخلاص إلا إذا حجبت الناس عن عينك ولم تر إلا اللّه.. وقد قيل إن الإخلاص هو عدم رؤية الإخلاص ، أى أن المخلص فى الحقيقة لا يرى نفسه مخلصا بل هو دائم الاتهام لنفسه ، ودرجات الإخلاص لا نهاية لها .. وأمراضه وعللّه كثيرة .. ، والشرك الأصغر هو عدم الإخلاص الكامل.. ويحذرنا ﷺفيقول " اتقوا الشرك الأصغر" ويقول "إن الشرك ليسرى إلى القلب مثل دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء" ..**

## ٤ - الصدق :

**وهو ضد الكذب كما تعلم .. وهو صدق فى النية .. وصدق فى الأقوال وصدق فى الأفعال ، يقول ﷺ"إن الصدق يهدى إلى البر .. وإن البر يهدى إلى الجنة .. ولا يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند اللّه صدّيقا".**

وقوله ﷺ"يتحرى الصدق هو غير يقول الصدق.. فالقول باللسان.. أما التحرى فيكون فى كل شئ من النية إلى الفعل..، فالصدق من الإخلاص.. وقد أشرنا إليه عند كلامنا عن الكذب..

## ٥ - الحب فى الله :

وهو ضد الحسد والحقد والغيبة والنميمة .. فلا تجتمع مع الحب فى الله فى قلب مؤمن .. فالمحب حريص على من يحبه حاضرا غائبا ، وفضل هذه الصفة لا يوصف .. وقد جعل الله تعالى حب العبد له أعلى درجة فى العبادة فقال تعالى فى سورة المائدة-٥٤: ﴿... بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وقال يصف المؤمنين فى سورة البقرة - ١٦٥:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ وقال يصف الأنصار فى سورة الحشر-٩: ﴿ ... يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ...﴾ فحب الله ورسوله فرض وحب آل بيته وصحابته فرض .. وحب المؤمن فرض ..

واعلم أن القلب الملئ بالحب هو قلب ودود .. رحيم .. رقيق .. عفوّ .. كريم يجبر خواطر المنكسرين .. ويعفو عن المخطئين .. ويتجاوز عن المسيئين .. وقد سبق القول بأن القلوب المحبة تسقى بعضها بعضا .. ومن أحب مؤمنا أظلهما الله تعالى تحت ظله يوم القيامة .. ، ودعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب ويقول الملك ولك مثل ذلك.

ومن أحب الله ورسوله فقد نال الدرجات العليا ، واستأنس بحب رسول الله ﷺ.. واستنار بنور قلبه الأقدس ..، والمرء مع من أحب يوم القيامة ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .. وكشف له أسراره .. وتولاه بعنايته ..

## ٦ - الفتُوّة :

وهى أخذ النفس بالعزم والقوة فى الطاعات .. وسرعة النجدة لمن استجار بك فى اللَّه.. يقول تعالىفى سورة الكهف-١٣ : ﴿ ... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾

ويقول فى سورة مريم - ١٢:﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ...﴾

ويقول لسيدنا موسى عن الألواح (الأعراف-١٤٥):﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ...﴾

فالفتوة كما هو واضح هى شدة الهمة وقوة العزم التى ترهب الشيطان ..، مع ترقُّبِ النفس لكل نداء وكل عمل فى سبيل اللَّه..

## ٧ - حفظ الأمانة والعهد :

وهو ضد الخيانة والغدر .. يقول تعالى فى سورة الإسراء-٣٤: ﴿.... وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ ويقول : ﴿...وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ...﴾ (البقرة-١٧٧) ويقول فى النحل-٩١:﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ... ﴾

وأول عهد أخذ عليك كان يوم " ألست بربكم " حيث يقول تعالى فى سورة الأعراف :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ **في عالم الأرواح قبل حضورك إلى الدنيا ، فأنت مطالب به ومسئول عنه يوم القيامة ، ثم إنك مسئول عن كل عهد في طاعة اللَّه يؤخذ عليك ، ولقد عاهد ﷺ صحابته على أمور كثيرة اختلفت من موقف لموقف ومن جماعة إلى جماعة .. فعاهدهم على الجهاد ونصرة دين اللَّه..، وعاهدهم على الإيمان وترك المنكرات، وعاهدهم على الصدق، وعاهدهم الا يسألوا الناس شيئا ..**

**والأمانة هي كل ما ائتمنت عليه من سر أو وديعة أو مال .. وأول أمانة عندك هي نفسك وإصلاحها .. وجسدك وقيامك عليه ..، وإيمانك هو أمانة عندك .. وإسلامك كذلك .. وأنت مسئول أن تقوم في كل أمانة بما أوجب اللَّه تعالى فيها.**

## ٨ – العدل والإحسان :

**العدل هو إيتاء كل ذي حق حقه .. وضده الظلم .. والإحسان هو الفضل والزيادة .. يقول تعالى في سورة النحل:**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ **ويقول في سورة الأنعام–١٥٢ :**﴿... وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ ....﴾ **ويقول جل شأنه في سورة التوبة–١٢٠ :**﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ **ويقول في سورة المائدة–١٣ :**﴿... فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣﴾ ،

**فالعدل إذا في القول وفي العمل .. والإحسان يكون في كل شئ كذلك.**

## ٩ – الشكر :

وهو بمعناه العام الاعتراف بالمنة والفضل لصاحب الفضل..

وهو مقام عال فالشكر هو للّه تعالى على كل نعمة أنعمها عليك وهى لا تعد ولا تحصى، وأعظمها نعمة الإيمان، ثم الشكر لكل من أجرى لك النعمة على يديه..

يقول تعالى:﴿... أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ... ﴾(لقمان–١٤)

ويقول ﷺ إنه لم يشكر اللّه تعالى من لم يشكر من أجرى له النعمة على يديه ، فالإسلام دين أدب وأخلاق ، وليس معنى أنك ترى النعم كلها من اللّه تعالى وهو الحق ألا تشكر من جعله اللّه لك سببا فى وصول النعمة إليك ، فهو من جند اللّه المسخرين بالنعمة إليك فافهم.

ويقول تعالى (سبأ–١٣ ) : ﴿..... ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾، فالشكر بمعناه الخاص هو ألا ترى بلاء من اللّه أبدا .. بل كله خير وكله نعمة لك إما فى الدنيا وإما فى الآخرة وهو صِنوٌ للرضا . لذلك قلّ أهل الشكر .. واللّه أعلم.

## ١٠ – الصبر :

وضده الجزع .. ولا يكون إلا على المكروه .. والاحتساب عند اللّه تعالى.. والصبر على العبادات والطاعات والصبر عن الشهوات.. كل ذلك أنواع من الصبر .. وجزاء الصبر عظيم عند اللّه تعالى .. يقول جل شأنه فى سورة الزمر : ﴿ ... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ ويقول فى سورة البقرة :﴿ ... وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ ،

**كما يقول فى سورة لقمان :** ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾

## ١١- التوكل على اللّه :

**وهو دوام النظر والالتجاء إليه لأنه مسبب الأسباب ومسخّر النتائح، يقول تعالى (الطلاق-٣) :** ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ... ﴾

**وأى شئ أعظم من أن يكون اللّه تعالى هو حسب المتوكل عليه.**

**وصدقُ التوكل إنما يكون بتمام الأخذ بالأسباب مع الاعتماد والنظر على رب الأسباب، قال ﷺ لأعرابى ترك ناقته خارج المسجد دون عقال (أى دون رباط) أعقلها ثم توكل..أى خذ بالأسباب ثم توكل على اللّه.. فالنتائح بيده هو لا بالأسباب.**

## ١٢- الحياء :

**وهو رقة القلب ورفضه للدنايا . والحياء من اللّه هو الأصل فلا يراك منكرا لنعمة ولا مقبلا على ذنب .. ولا طامعا فيما لا تستحقه ..**

**والحياء شعبة من الإيمان كما يقول ﷺ .. والحياء لا ياتى إلاّ بالخير حتى وإن كان الحياء من الناس. فإنه يدفع إلى معالى الأمور وينهى عن الفحش .**

يقول اللّه تعالى (القصص-٢٥) : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ .... ﴾

## ١٣- الخوف والرجاء :

الخوف من اللّه تعالى وعدم الاستهانة بعذابه ووعيده .. والرجاء فى رحمته وفضله الذى وعد بهما عباده الطائعين..

فالمؤمن دائما أبدا بين هاتين الحالتين فهو لا يأمن مكر اللّه تعالى وبطشه وغضبه لانتهاك محارمه وعصيانه .. ولا ييأس أبدا من رحمته جل شأنه التى وسعت كل شئ .. فإن غلبت عليه المعاصى فليرجح جانب الخوف من اللّه تعالى ويستحضر هيبته وجبروته حتى يقلع عنها .. فإن غلبت عليه الطاعة فليرجح جانب الرجاء فى رحمته وفضله حتى يزيد من طاعته ، ولكنه لا ييأس أبدا ولا يقنط من رحمته تعالى يقول تعالى فى سورة الزمر:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

ويقول فى سورة الحجر :﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

* * *

هذه هى بعض الصفات الحميدة فى النفس والتى يطالبنا ديننا الحنيف بالاتصاف بها .. ، وكما تلاحظ أن الصفات الذميمة تكاد تكون كلها من أصل واحد وهو حب الدنيا وشهواتها .. فكذلك تجد أن الصفات المحمودة تكاد كلها من أصل واحد وهو حب الآخرة وقصد وجه اللّه تعالى . ، ذلك أن الإيمان فى الحقيقة كلٌ لا يتجزأ.. بمعنى أن الصفات الحميدة تنبت صفات حميدة .. فالكريم تجده رحيما.. محسنا.. صادقا.. عادلا أمينا .. والفاسق تجده .. جلفا .. بخيلا .. مسرفا أو شحيحا.. غادرا ..

فالإيمان أو الفسوق هما الأصل فى القلب ومنهما تنبت هذه الصفات .. ، نعم قد تقوى صفة عن صفة .. وقد تضعف صفة فلا تكاد تظهر .. ولكنها موجودة فى قلبه طالما كان الإيمان موجودا بقلبه..،

وسبق القول بأن الإيمان يزيد وينقص ، أى تقوى صفاته أو تضعف.. لسبب عارض فى النفس ، فقد يضطر المؤمن لكذب مثلا لضعف عارض فى إيمانه ساعتئذ . ولكن فرق بنى كذب الفاسق وكذب المؤمن ..، فالفاسق يستملح الكذب .. ويفرح بنجاته بكذبه وتصديق من كذب عليه له ، ولا يندم ولا يتوب ولا يشعر بالذنب أصلا ، ولكن المؤمن إذا أضطر للكذب فهو فى ضيق وهم وألم وندم ، لا يستملحه ولا يفرح به..، وهذا أمر فى القلوب .. ألا ترى إلى قوله ﷺإن السارق لا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، وإن الزانى لا يزنى حين يزنى وهو مؤمن. فهذا يدل على أن صفة الإيمان تنزع منه فى هذه اللحظات، فلا يكاد يُبصر أو يعى .. فإذا عاد الإيمان إليه بعد ذلك عاد بالندم والحسرة عليه..

والسؤال الآن هو ماذا يكون الأمر لو مات العبد وهو يرتكب معصية من هذه المعاصى!!!

يقول ﷺ إن المرء يحشر على ما مات عليه .. وهنا تكون الطامة الكبرى والعياذ بالله .. فإن العبد إذا ابتعد عن الإيمان لحظة يجب عليه أن يسارع إلى التوبة والندم خوفا من انتهاء أجله وهو على هذه المعصية، حتى وإن غلبته نفسه ولم تعزم على ترك الذنب لشهوتها إليه..، فعليه أن يسوسها ويتوب إلى الله ويستغفره صادقا ، فما يدريه فربما يكون أجله أقرب إليه من معاودة اقتراف ذنبه فإن مات يموت تائبا.. والله أعلم ..

ولننظر معاً إلى بعض صفات المؤمنين فى القرآن الكريم.

يقول تعالى فى سورة المؤمنون(١-١١):

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾

ويقول تعالى فى سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا

سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ ﴾

**ويقول تعالى فى سورة البقرة :** ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ

وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ **صدق الله العظيم.**

**فانظر رحمك الله إلى هذه الصفات الجامعة لكل أبواب الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة .. وادع الله تعالى أن يعلمنا إياها وأن يجعلنا من عباده الصادقين..**

**وسوف نتعرض فى الباب التالى لبعض الآداب التى يجب أن تتأدب بها نفس المؤمن زيادة عما ذكر فى هذا الباب بإذن الله تعال .**

## • ملاحظة :

**يقول الله تعالى:**﴿... إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ... ﴾ **(التوبة-٢٨)**

**ونجاسة المشرك هى نجاسة معنوية وليست مادية .. فلو اغتسل فإن نجاسته لا تزول بالاغتسال .. فإذا آمن بالله فقد تطهر وزالت نجاسته.. ذلك أن نجاسة الكافر هى غفلته وعمى بصيرته عن الله تعالى.. فهى نجاسة قلبه وبعده عن ذكر الله وعدم الإيمان به جل شأنه.**

**وعلى النقيض فإن المؤمن طاهر حياً وميتا كما يقول ﷺ.. ولكن الله تعالى يأمرنا بالاغتسال من الجنابة وما شابهها يقول جل شأنه :** ﴿... وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ...﴾ **(المائدة-٦)**

**فالجنابة وما شابهها تجعل المؤمن غير طاهر مؤقتا .. ويتطهر بالاغتسال .. ويقال إن من حِكَم الاغتسال أن أعضاء الإنسان تعمها الشهوة ويغفل قلبه عادة عن ذكر الله تعالى وهو فى حالات المباشرة.. وهذه الغفلة اللحظية تجعل الملائكة والحفظة تبتعد عنه وتنفر منه .. ولا تعود إليه إلا بعد الامتثال لأمر الله تعالى بالاغتسال عقب الجنابة أو**

الاحتلام.. حتى وإن عاد قلبه لذكر اللّه عقبهما فإن الالتزام بحكم الشرع فرض عليه وطاعة واجبة .. فليس هناك أى ذريعة ولا عذر لعدم تنفيذ أوامر الشرع.

فإن سال سائل بأن اللذة المذكورة قد تكون فى اليقظة ولكنها قد لا تكون خلال الاحتلام وأنت نائم ، قلت له أنت لا تدرى ما يعترى جسدك ولا نفسك من حالات خلال انفصال هذا الماء عنك ودفعه خارج جسمك وانشغال القلب بأوامره للأعضاء المختصة به لطرده، واللّه الأعلم بعبيده ظاهرا أو باطنا.

فإن قال قائل فإن الحائض والنفساء لا يعم جسدها شهوة أو غفلة عن اللّه ، ورغم هذا يلزم الاغتسال للعودة إلى الصلاة وخلافها .. قلنا له : هذا صحيح، ولكننا لا نعلم من أسرار اللّه تعالى إلا أقل القليل .. وما أراده اللّه لمن اختاره اللّه للمعرفة ، فالأوامر كلها للطاعة وليست للنقاش .. فنحن نأتمر وننفذ ، والحكم والأسرار عند اللّه تعالى ..،

وقد ظللت الأعوام الطويلة لا أفهم حكمة لقول رسول اللّه ﷺ "غفرانك" إذا خرج من الخلاء .. فالرسول ﷺ يسال اللّه المغفرة .. فأى مناسبة بين الفعل والدعاء. حتى علمت باجتهاد أحد المجتهدين بأن دخول الخلاء يخلّص الجسم من فضلات ضارة .. ولو حبست فيه لأضرت به الضرر البالغ .. ، فنحن نعلم أن البول والغائط إذا حُبسا فى جسم الإنسان فإن مصيره إلى الموت المحتم لما فيهما من سموم تودى بالحياة ..، فالذى يدخل الخلاء ويتخلص منها ويخف جسده من هذه الأقذار يشعر بالراحة الجسدية والنشاط فى أعضائه..، وتبقى عليه ذنوبه ومعاصيه .. وهى ثقيلة على القلب والروح تماما كفضلات الإنسان وأثرها على جسده..، بل وأشد وأخطر .. فإن الذنوب تورث الفسوق.. والفسوق يؤدى إلى النار وخسران المرء آخرته ..، فالدعاء بطلب المغفرة من اللّه

تعالى عقب الخروج من الخلاء مناسب تماما وفيه منتهى الحكمة.. فأنت تدعو اللّه كما خلّصك من أثقالك المادية وطهّر جسدك من الخبث أن يغفر لك ويطهر قلبك وروحك من الذنوب المهلكة للقلب والروح..، هذا رأى بعض المجتهدين على قدر ما يَسَّرَ اللّه له الفهم .. واللّه تعالى أعلم بالسر.. فربما كان للحائض والنفساء أسباب أخرى تستدعى الاغتسال وكلنا نعلم أن المرأة فى هذه الفترات تكون متغيرة المزاج، واللّه أعلم بمراده وما علينا إلا الامتثال..

ومقصود الكلام هو أن غفلة المؤمن عن اللّه تعالى بأية صورة من صور الذنوب أو بصفة من صفات النفس الذميمة تمثل نوعاً من الغفلة عن اللّه بدرجات متفاوتة فليس ذنب كذنب ولا غفلة كغفلة ..، ولذلك يقول بعض المفسرين فى شرح قوله تعالى فى سورة الواقعة:﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

إن المقصود هو أن كتاب اللّه تعالى وأسرار هدايته لا يلمسها ولا يفهمها ولا يقربها إلا المطهرون نفساً وروحا وقلبا ، وذلك بطهارة الإيمان والصفات الإيمانية فى القلب ... فالذين طهرت قلوبهم وتطهرت نفوسهم هم الذين يتلقون هذه المعانى السامية من كتاب اللّه تعالى خلال سبحات أرواحهم فى عالم الملكوت ..، ذلك أن العين التى تنظر إلى الحرام وتهتك الأعراض لا يمكن أن تكون هى العين التى تنظر بنور اللّه ، ولا يمكن أن يكون صاحبها هو البصير الذى ذكره اللّه تعالى فى كتابه..، والقلب الحريص على شهوة النساء أو المال ومشغول بها لا يمكن أن يكون هو القلب المشغول بربه وآخرته وذكر اللّه وعبادته، فأنىّ له أن يلتقط المعانى السامية والدرر الإلاهية.

وإن كان رسول اللّه ﷺيقول " الوضوء سلاح المؤمن " ويحضنا

علـى دوام الوضـوء مـا اسـتطاع المـؤمن ذلـك .. فإنمـا يعلمنـا ﷺدوام طهارة الظاهر حتى ننتقل بها إلى دوام طهارة الباطن .. فدوام الوضوء يجعلك بالضرورة تلتفت إلى طهارة نفسك بمراقبتك للّه تعالى ..، ووضوء القلب هـو الاستغفار ..، وصلاة القلب هـى الـذكر .، وزكـاة القلـب هـى التفكـر فـى اللّـه تعـالى وملكوتـه ، وصيامه هـو الـصيام عمـا سـوى اللّـه تعالى..، وحَجه هو النظر الدائم إلى وجهه الكريم فافهم.

وقوله تعالى:﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ ....﴾ (الأنعام–١٢٠)

يدل على أن للإثم ظاهرا وباطنا . ، ويدل على أن هناك آثاماً ظاهرة .. وآثامـاً باطنـة. ، يقـول تعـالى: ﴿ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾ (البقـرة–٢٨٣)..، فالقــلب قـد يأثــم دون فعـل ولا عمل ..، فإن كتمان الشهادة ليس بفعل ظاهر ..، بل هو سكوت عن فعل، وإن كان فى الحقيقة هو عمل من أعمال القلب لمعرفته بالحق وكتمانه إياه.

فالقلب يأثم إذا انعقد فيه الإثم الباطنى دون عمل بالجوارح ..

كـذلك النيـة مـن أعمـال القلـب .. وهـى بـاطن الفعـل.. فإنى إن فعلت فعلا ظاهره الطاعة كالإحسان إلى شخص ما.. فهذا عمـل صـالح.. ولكن إذا انعقدت نيتى على أن هذا الفعل إنـما قصدته لأنال به غرضا سيئا فى نفسى .. فهذا باطن الإثم واللّه اعلم ..

ويقول ﷺأن الناس يحشرون يوم القيامة على نياتهم فافهم.

والحقد والحسد والعجب والكبر والرياء والنفاق كلها مـن أعمـال القلب والآثام الباطنية.

**وخلاصة القول أن المؤمن يجب أن يكون حريصا على طهارة قلبه أشدّ وأحرص من طهارة جسده..**

* * *

## موجز الباب السادس

فإذا أردنا أن نلخص لك ما تم عرضه فى هذا الباب نقول :

- أخلاق النفس قابلة للتغيير والتأديب.
- عموم الخلق قد يكونون فى مرتبة النفس الأمارة بالسوء..، وعموم المسلمين قد يكونون فى مرتبة النفس اللوامة .
- الارتقاء بالنفس إنما يكون بمخالفة الشهوات ومخالفة العادات والاهتمام بالعبادات.
- لا ميزان للنفس إلا ميزان شرع اللَّه ولا تنفعها أعراف ولا تقاليد.
- الصفات الذميمة فى النفس أخطرها : الإسراف والكبر والعجب والنفاق والغدر والخداع والكذب والغرور والحسد والتبذير والشح والغيبة والنميمة وحب الجاه والجدل والمكابرة والظلم ..
- الصفات المحمودة فى النفس أهمها :

| | |
|---|---|
| ١ – الكرم | ٢ – الحلم والعفو |
| ٣ – الإخلاص | ٤ – الصدق |
| ٥ – الحب فى اللَّه | ٦– الفُتُوَّة |
| ٧ – حفظ العهد والأمانة | ٨ – والعدل والإحسان |
| ٩ – الشكر | ١٠– الصبر |
| ١١– التوكل على اللَّه | ١٢– الحياء |
| ١٣–الخوف من اللَّه والرجاء فيه. | |

- نجاسة الكافر معنوية .. وطهارة المؤمن لا تكتمل إلا بكمال نفسه وقلبه.
- المؤمن يتجنب ظاهر الإثم وباطنه.

* * *

اللّهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت .. واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .. وتب علينا اللّهم توبتك النصوح التى أنت التائب فيها على عبادك وطهّر اللّهم ما نصنع وزكِّ ما نعمل واجعل كل واحد منا فى عالمك كتابا مسطورا بالهدى والنور.. وصلّ وسلم وبارك على عبدك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وعلى عبادك الصالحين ونحن معهم أجمعين ما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون.



رقم الإيداع : ٢١٣٣٩/ ٢٠٠٤